

ليبيا

فى العهد العثمانى الثانى

(١٨٣٥ – ١٩١١)

ليبيا

فى العهد العثمانى الثانى

(١٨٣٥ — ١٩١١)

بقلم

الميجور انتونى جوزيف كاكيا M.B.E.

وبه ملحق خاص (١٩١١—١٩٤٦) مع ٣٦ صورة فوتوغرافية

عربه عن الانكليزية

يوسف حسن العسلى

رئيس مفتشى بوليس «قوة بوليس طرابلس الغرب»

طبع بمطبعة دار احياء الكتب العربية
لاصحابها عيسى البابى الحلبى وشركاه

ليبيا

١٨٣٥-١٩١١

محمد أبو يوسف الدويشي

تقديم الكتاب

بقلم

والى طرابلس الغرب العام

مكتب والى طرابلس
رئاسة الإدارة العسكرية البريطانية
بطرابلس الغرب
١٠ أغسطس سنة ١٩٤٦

بسرور زائد أقدم الى قراء اللغة العربية ترجمة يوسف افندى العسلى لكتاب « ليبيا فى العهد العثمانى الثانى » تأليف الميجور ا. ج. ﻫ كيا، ذلك المجهود الذى يبحث عن إحدى الفترات المضطربة فى تاريخ طرابلس الغرب.

T.R. Blackley

ت. ر. بلاكلي
الوالي.

١٠/٨
١٩٤٦

الاهداء

إلى الناطقين بالضاد عامة ، وإلى أبناء ليبيا خاصة من شيب وشبان من حدود مصر شرقًا حتى حدود تونس غرباً أقدم ترجمة هذا الـكتاب .

العسلي



المرحوم الميجور انتونى چوزيف كاكيا «M.B.E.»

مؤلف هـــذا الـكتاب

ولد يوم ١١ ديسمبر ١٨٩٦ .. وتوفى بطرابلس الغرب يوم ٢١ مارس سنة ١٩٤٦

The Cheif Administrator
British Military Administration
Tripolitania, M.E.F.
10th August, 1946

I have pleasure in presenting the Arabic-reading public YUSEF Effendi el ASSALI's translation of "Libya under the Second Ottoman Occupation" by Maj. A.J. CACHIA- a work dealing with one of the many exciting phases in the varied hisotry of Tripolitania.

(T.R. BLACKLEY),
Brigadier,
Chief Administrator.

صابر يوسف القرشي

كلمة للمعرب

رأيت لزاماً عليّ - عند ما قرأت هـذا الـكتاب بالإنكليزية - أن أقوم بترجمته إلى اللّغة العربية لعلّى أسدى بذلك خدمة لأبناء العروبة ، وأسدَّ فراغاً فى تاريخ ليبيا كان مجهولا لديهم .

ولما كان هذا الـكتاب يقف ببحثه عند سنة ١٩١١ ،رأيت من الضرورى أن أجمل تاريخ الفترة التى تلت ذلك (١٩١١ - ١٩٤٦) فوضعت ملحقاً خاصا ذيّلت به الـكتاب ليكون وافيا فى تاريخ ما مضى وما هو دائر الآن . وأرجو أن أتمكن فى المستقبل القريب أن أوفى الفترة الأخيرة من تاريخ ليبيا الحديث ما تستحقه من التفصيل .

وإنى أشكر هنا جميع من قام بمساعدتى على بلوغ أمنيتى هـذه ، وفقنا الله لما فيه خيرنا أجمعين ؟

طرابلس الغرب ١٩٤٦/٥/٣٠ ع . ح . ى

«مذكرة افتتاحية»

لربما نتساءل مثلاً «كيف كانت حالة هذه البلاد قبل الاحتلال الإيطالى؟» هل كانت تنعم بالحياة الطيبة؟ الخ . . . هـذا ما دفعنى لأجمع المعلومات لهذا الـكتاب . وعندما انتهيت من كتابته ، عرضته على بعض الأصدقاء الذين اعتبروا أنه يستحق النشر، وهذا ما حفزنى على طبعه ونشره .

ولقد جمعت المادة من كتب انكليزية وفرنسية وإيطالية، وكذلك تحصلت على المعلومات من أقدم الشخصيات التى تسكن ليبيا ومن بعض أهاليهـا وأخص بالذكر البروفسور جورج شكال ومحمد افندى بانون . كان الأول صحفياً والثانى موظفاً بالحـكومة التركية ، وإنى لمدين لهذين الرجلين .

وأرغب أن أسجل هنا كذلك اعتمادى على زملائى وأصدقائى الذين قدموا لى النصائح الغالية والنقد الصريح الصحيح ، وأخص بالذكر منهم « جون كروفورد » لمراجعته مسودة الـكتاب .



يوسف حسن العسلي

معرب هذا الكتاب

تقدمة

نظرة مختصرة

عن جغرافية وسكان وديانة أهالي ليبيا

تقع ليبيا بين تونس والجزائر من الغرب وبين مصر والسودان المصرى الإنـكليزى من الشرق ، ويحدها البحر الأبيض المتوسط شمالاً ، وتمتد جنوباً حتى بلاد أفريقية الغربيـة والاستوائية الفرنسيتين . وتتألف ليبيا من قطرى طرابلس الغرب وبرقة المشتملين على المنطقة الساحلية لِسِرْت «Sirte» الواقعة إلى الشرق من طرابلس و « مَارْمَارِيكا » الواقعة على حدود برقة الشرقية . وكذلك تشتمل على الأراضى الداخليـة المسماة بالفَزّان من أعمال طرابلس والـكُفرة من أعمال برقة . ويحتوى هذان القطران على عدد من الواحات التى تذوى تدريجياً بالصحراء .

وينساق الشاطئ القليل التعاريج بانتظام من حدود تونس حتى مصراته ، وينحنى للجنوب فى خليج سرت ويظهر من هناك تدريجياً حتى يلامس هضاب برقة ومن ثم ينتظم ثانية حتى حدود مصر .

هناك سلسلتا جبال ساحلية أو منطقة ذات هضـــاب يبلغ ارتفاعها

أحياناً ٢٦٠٠ قدم كجبل نَفُّوسَة المعروف عادة بكلمة « الجبل » بطرابلس «Djebel» ثم الجبـل الأخضر فى برقة. ويقع جبل الصودا فى جنوب سِرْت والحروق الأسود والحروق الأبيض ، ووراء هـذه تقع منحدرات بِتْستى أو (طاو) وتلال « تَمُو » وسلسلة « أكا كوس » . وفى جنوب الـكُفْرة يقع جبل « اركنو » وجبل « العوينات » البالغ ارتفاعه ٥٧٠٠ قدماً تقريباً .

ليست هنالك أنهار فى ليبيا . وتتجمع مياه أمطارها فى الوديان التى تشكل السيول والجداول الموقتة .

كان سكان طرابلس « بالوقت الذى يبحث فيه هذا الـكتاب » معظمهم من البربر أو من أصل بربرى وكانت هنالك عناصر أخرى من العرب واليهود والأتراك وجاليات أوروبية .

وتنحدر جماعة البربر من شعوب القوقاز ، وهم من بقى من الليبيين من عصور مصر الأولى ، وتميل بشرتهم على الغالب للسواد ، وكذلك فعيونهم سود وشعرهم أسود متجعد . ومن المرجّح أن بربر مراكش هم من نفس الأصل الذى ينحدر منـه بربر طرابلس . وفى الصحراء « Sahara » فهناك قبائل الطوارق يعيشون على الطريقة البدوية ، أما فى تونس والجزائر فإن البربر يعيشون على شكل قبائلى .

لقـد أدت المعاشرة بين العرب والبربر وزواج بعضهم من بعض واعتناق الأخيرين للإسلام ، أدى ذلك مع مرور الزمن إلى نقص ليس فى عدد البربر

من حيث اللغة والأصل وإنما فى تغير عاداتهم عن عادات البربر الأصليين . أما سكان زوارة وجبل نفوسة ، فهم هؤلاء الذين حافظوا على عادات وأخلاق وصفاء الشكل البربرى .

أما العرب فهم من الأصل السامى المعروف ولا يحتاجون لأية تقدمة فى هذا الكتاب .

وأمااليهود ، فإنهم يدعون بأنهم من سلالة القبائل العبرانية التى استقرت فى ليبيا أثناء الحكم الرومانى الغابر وبعضهم أحفاد اليهود الهاربين من الحكم الإسبانى . وكانت أغلبيتهم من الجنس الفقير جداً وعلى الأخص أولئك الذين يعيشون بمنطقة الجبل والذين كانوا وما زالوا أول من سكن الكهوف « بيوت الحضر » وهنالك أيضاً من أولئك اليهود بعض التجار المشهورين بالمدن .

ولقد كان موظفو الحكومة التركية وعائلاتهم وجنود الاحتلال يشكلون الجالية التركية بالبلاد .

أما الجالية الأوروبية فكانت من المالطيين أو أولئك الذين ينحدرون من أصل مالطى .

كان الدين الرئيسى فى ليبيا هو الإسلام . فالبربر يتبعون المذهب الأباضى ويدعون بالأباضية ، بينما معظم عرب طرابلس من المالكية ، أما الأتراك فكانوا يتبعون مذهب أبى حنيفة .

كان المسلمون فى عقائدهم ينقسمون إلى شيع وطرق مثل الرفاعية أتباع

سيدى أحمد الكبير الرفاعى ، والعيسوية أتباع محمد بن عيسى ، والعروسية ـ السلامية تلك الطريقة التى أسسها أبو العباس ابن عروس ومن ثم أعادها للحياة من بعده سيدى عبد السلام الفيتورى من زليطن ـ والطريقة المدنية التى أسسها من قبل محمد أبو حمزة المدنى ، والسنوسية التى أسسها محمد على السنوسى أحد أتباع أحمد بن إدريس الفاسى .

وينتمى معظم اليهود للمذهب الاسفرادى ، وهناك البعض منهم يرجع بأصله إلى أواسط أوروبا وينتمون للمذهب الاسكنازى .

أما المسيحيون فكان معظمهم من المتبعين للمذهب الرومانى الكاثوليكى وكان هنالك القليل ممن يتبع كنيسة الأرثوذكس اليونانية بينما قسم ضئيل آخر كان يتبع المذهب البروتوستانتى .

الفَصلُ الأوّل

قصة خيالية عن طرابلس الغرب

هنالك قصة خرافة قديمة فحواها كما يلي[1]:

كانت فى العصور الغابرة البعيدة ، تقع بين بحر سرت والجبل بلاد غنيّة ومخصبة للغاية . بها حدائق جميلة من نخيل وأعناب ، قطوفها دانية ، ذات دفءٍ فى الشتاء ؛ أما بالصيف فلقد كانت مصونة من الرياح الحارة . وكان السكان يعيشون بهناء تام والحياة سعيدة بسيطة هى أقرب شىء إلى حياة الجنة . ولكن يا للروعة ! فإنه مع مضى الزمن غيّر الناس ما فى قلوبهم واتبعوا الشهوات . . وغضب الله وأقسم ليمتحننّ سكان هذه البلاد الطيبة .

وظهرت من البحر حورية من أجمل حور العين كاللّاتى وعد الله المؤمنين بهن فى الجنة ، فحملتها زعانفها الذهبية وألقتها على شاطئ المنشية[2] ودخلت إحدى حدائق النخيل والبرتقال ذات الروائح العاطرة الزكية ، وتطاير خبر قدومها البلاد بسرعة البرق وأخذ الكل يتحدّث عن جمالها الفتان وجاذبيتها الأخاذة وسمع بذلك الخبر ابن سلطان « غاديا » الذى تملكه شعور جامحٌ لا يرد ، شعور

(١) أنا لا أعتقد شخصياً بصحة هذه القصة الخيالية ، ولقد سمعت قصصاً غيرها ، أقرب للحقيقة منها ولكن علينا بترجمة كل ما جاء بالكتاب ... (المعرب)

(٢) بطرابلس

الإغراء بتلك الفتاة . فلبس أفخر ما عنـده من ملابس مزخرفة ومزركشة ، كانت قمصانه الحريرية والصوفية أشبه شيء بالقطيفة ، مطرزة بالذهب وغيره من الحواشى ، وتمنطق خنجره ذا المقبض المطعّم بالذهب والمرصع بالأحجار الـكريمة . أما جواده فلقد كان مطهماً بأثمن ما يوصف به أى طقمٍ للخيول ، وعلى ظهره سرج من الذهب جلوده مزركشة ومحلاة بالفضة . وركب الأمير جواده ، وعنـدما اقترب من تلك الحديقة الغنّاء التى كانت الحسناء تستظل بأشجارها ، صاح من شدّة فرحه مخاطباً إياها «ألستُ جميلاً ، كريم الأخلاق!» فأجابته ببرود وبدون اكتراث . وظن الأمير أنها بحاجة لألفاظ معسولة فأسمعها قصيدة كلها مدح بجمالها وحسن قوامها ، ولـكن القصيدة وتلك الألفاظ لم تحرك ساكناً من مشاعرها وبقيت على فتورها نحوه .

احتدَّ الأمير لذلك الإغضاء ، وترك تلك الألفاظ اللطيفة وتأثر ، وأخـذ يُلقى الـكلام على عواهنه ، السبب الذى أدّى لنفور الحورية عند سماعها ذلك ، فجمعت قوتها وأفلتت من بين ذراعيه وهربت للشاطئ واندسّت بين الأمواج تحملها زعانفها إلى مأواها فى البحر .

احتار الأمير عنـد ما رأى الحورية تختفى عن بصره ، وبقى يتجوّلُ فى حدائق البرتقال أياماً باكياً سوء حظه ، وأقسم لئن رجعت الحورية لينزلنّها من نفسه أحسن منزلة وليحترمنّها أعظم احترام .

وأرسلت له الحورية كلمة تطلب منه بأن يقسم على أن لا يحنث بيمينه إن

هى رجعت له وأن لا يخون قوانين الضيافة فأقسم الأمير بحرارة على ذلك وزاد بأنه سيجعلها دائماً سعيدة ويُبعد عنها كل مكروه . وهكذا رجعت الحسناء لحديقة البرتقال عند شاطئ المنشية . ولـكن عند ما رأها الأمير مرة أخرى ، رجعت له غيرته ولم يستطع ضبط عواطفه تلك وكبح جماحها،وأفضى لوالده السلطان عما كان من أمره طالباً نصحه فقال له والده : « اجعل لها كميناً أوقِعْها به ، وعند ما ترى نفسها أسيرة لا بد وأن تخضع للأمر الواقع فتستسلم لك » .

وأُرسلت الرسل للحسناء داعية إياها لزيارة الأمير لحضور حفلة يقيمها على شرفها ورجاها الأمير أن لاترفض طلبه ذلك برفض تلك الدعوة التى كان يتحيّن الفرص لإقامتها ، وقبلت الحورية طلبه ذلك بمزيد السرور . وبدأت رحلتها نحو الجبل حيث قصر السلطان .

كانت الرحلة طويلة ولـكن ممتعة حيث كانت الطريق محفوفة بالغابات والحدائق وكانت الجداول بخريرها تنساب تحت أشعة الشمس المشرقة .

وقبل أن تصل الحسناء لقصر السلطان وعلى بُعد قليل منـه ، وقعت فى ذلك الـكمين الدّنئ الذى نصبه لها الأمير ، وعنـد ما أوشك على الإيقاع بها تملّصت منه كثعبان الماء وطارت لتلتقى حمايتها فى البحر الذى برزت منـه ، وبذهابها ذبلت الأشجار المثمرة وجفّت ، وتحولت الأراضى المخصبة إلى صحراء قاحلة وتلاشت الجداول بين الصخور ولم يبق منها سوى الماء الأجاج الذى أصبح لايكاد يصلح لشرب الوحوش .

وهكذا أنزل الله عقابه بأهل هـذه البلاد التى كانت يوماً ما مباركة ، لطمعهم وعدم قيامهم بقوانين الضيافة ، وصار عليهم وعلى أولادهم فيما بعد أن يكدّوا ويشتغلوا للأبد عقاباً لهم ، وأن يتحملوا شدة لفح الرياح القبلية الآتية من الصحراء ، وأن يتذكروا دائماً أن الجنة لن يدخلها « إلا من أقام حدود الله » تلك الجنة التى وعد الله المؤمنين بها على لسان رسوله الـكريم .



... حيث كانت الطريق محفوفة بالغابات والحدائق وكانت الجداول تنساب بخريرها تحت أشعة الشمس المشرقة

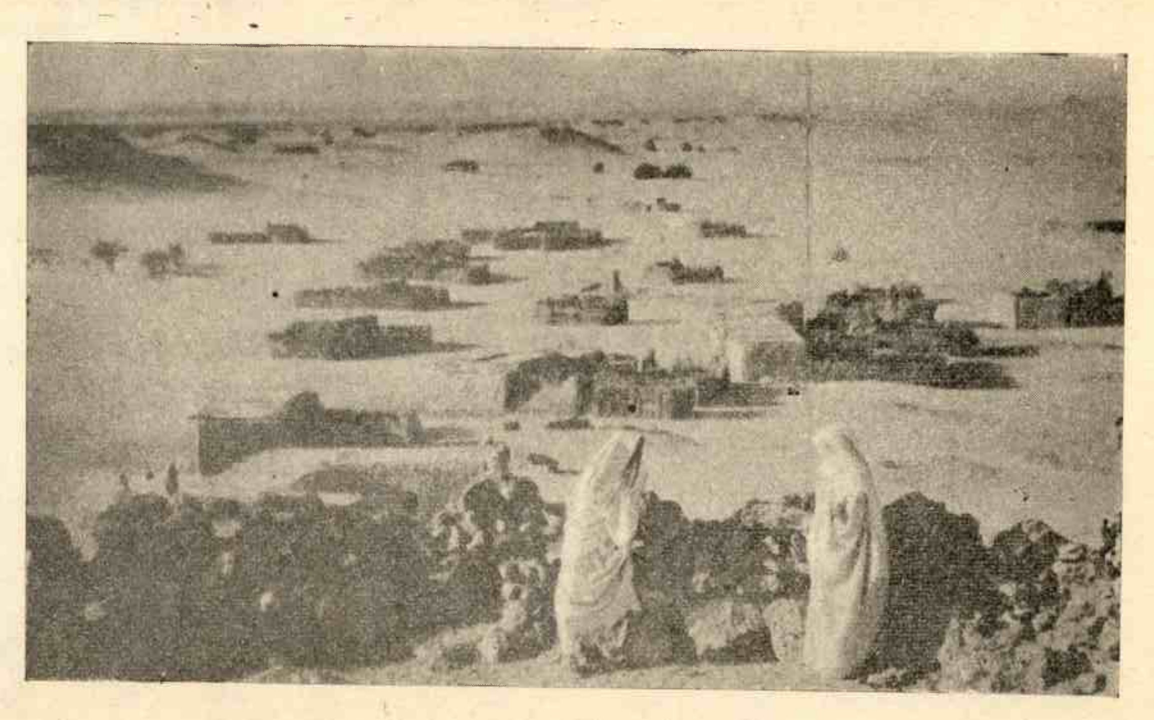
الفَصْلُ الثَّانِى

تاريخ ليبيا القـــديم

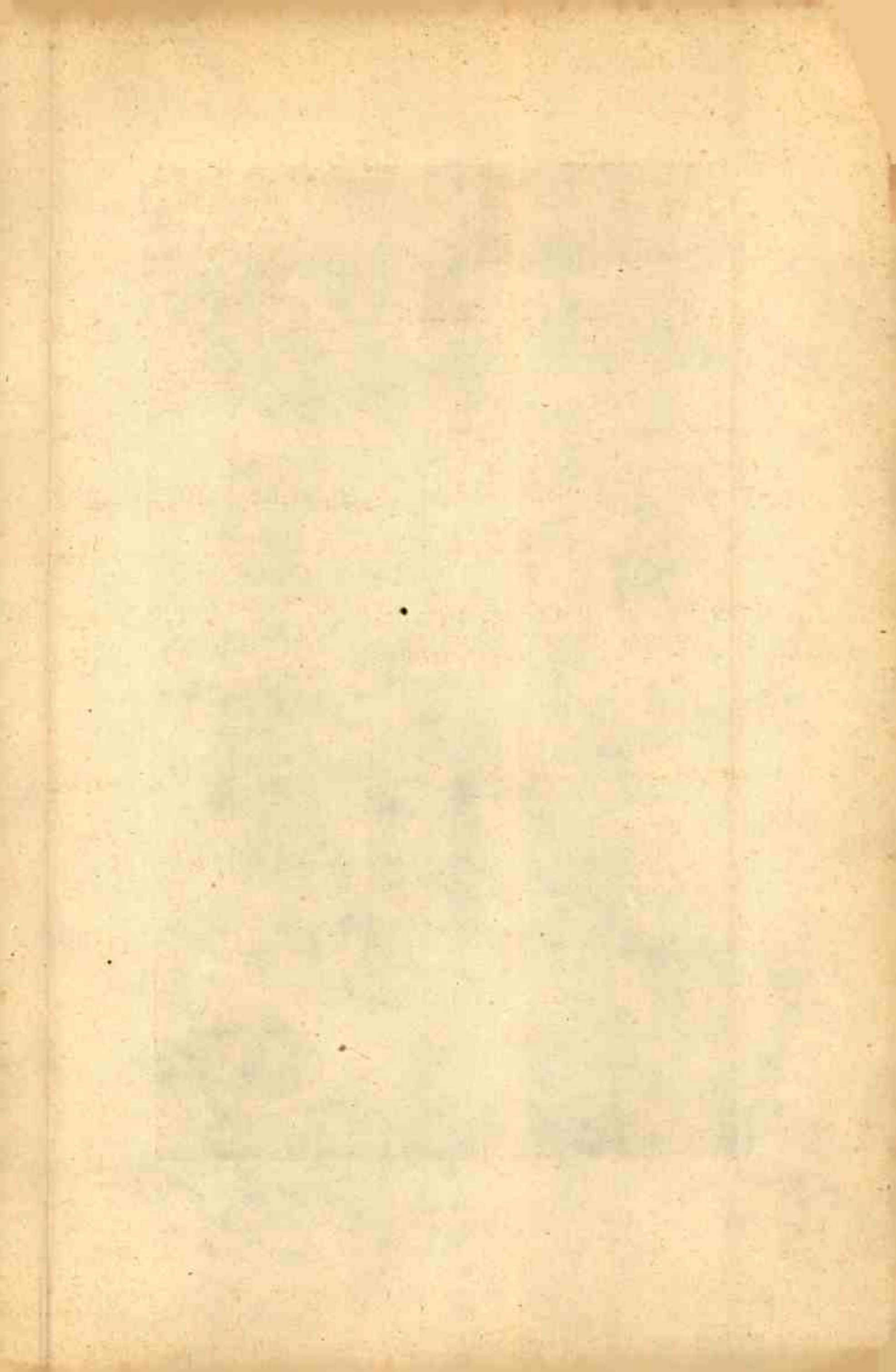
تتألف ليبيا من قطرى طرابلس وبرقة ، وإذا نظرنا لتاريخها القديم فإننا نحتاج لمجلدات ضخمة إذا بحثنا تاريخ القطرين منفصلين . ولقد وقعت طرابلس تحت الحـكم القارطاجنى حوالى عام ٧٩٥ قبل الميلاد وأسسوا فيها موانئ صبراته وأويا ولبتس مانيا . ولقد أطلق الإغريق على هـذا القطر آنذاك لفظة طرابلس ، وربطت طرابلس أثناء الحـكم القارطاجنى مع أفريقية بطرق القوافل وربطت مع قارطاجنة بطريق ساحلية يبلغ طولها ٥١٢ ميلاً . وفى عام ١٠٦ قبل الميلاد نجح الرومان فى النزول إلى البلاد ولـكن لم تُحتل كلها إلا فى عصر يوليوس قيصر عام ٦٤ بعد الميلاد . وأصبحت البلاد بعدها قسماً من مستعمرات الرومان فى (أفريقية الجديدة) . ولقـد شعرت تلك المدن الثلاث بانتعاش فى ذلك العصر وزاد ذلك الانتعاش على الأخص فى عصر الإمبراطور سيفيروس سيبتيموس «Severus Septimus» (١٩٣ ـ ٢١١ بعد الميلاد) والـكساندر سيفروس « Alexandre Severus » عام (٢٢٢ ـ ٢٣٥ بعد الميلاد) ولقـد ولد الأخير فى طرابلس وأفسح المجال لازدهار المدن الثلاث التى كانت تأتيها القوافل المشحونة بالعاج والذهب وخشب الأبنوس وريش النعام والعبيد .

وكانت كل هذه البضائع ترسل لروما وجنوب أوروبا عبر الموانئ الطرابلسية . وكانت حاصلات البلاد فى ازدياد وكان صنف زيتونها خير ما ينتج على حوض البحر الأبيض المتوسط . وضعفت حركة مينائى صبراته ولبتس مانيا حيث جعل سبتيموس سيفروس « اويا » (طرابلس) عاصمة لمقاطعة طرابلس وسماها كذلك ، وبذا ، فلقد انتقلت إليها حركة التجارة من الميناءين السابقين . ولقد امتد الحكم الرومانى حتى عام ٤٥٠ ب . م . عند ما أغار البربر من الجنوب ونجحوا فى دحر الحامية الرومانية واحتلوا كل الشاطئ .

وبعدها ، جاء جنزريك « Genseric » ملك الفندال الآرى وتمكن فى حملته على إمبراطورية روما الغربية المنهوكة القوى من التغلب عليها واحتل قارطاجنة عام ٤٢٩ ب م . وصقلية عام ٤٤٠ ب . م وروما عام ٤٥٥ ثم مالطا وطرابلس عام ٤٥٦.وانتهى حكم الفندال فى عام ٥٣٣ عند ماأرسل الإمبراطور جوستنيان « Justinian » الجنرال الرومانى بلساريوس « Belisarius » الذى دحر الملك جلمير «Gelimer» واحتل من جديد أفريقية الشمالية،وبذا أصبحت طرابلس سابع مقاطعة من الإمبراطورية البيزنطية . وفى حوالى عام ٥٧٦ نجح البيزنطيون فى قلب عقيدة الكثير من البربر بجعلهم يتبعون المذهب المسيحى وأصبحوا موالين لحكامهم ولم يزعجوهم بالهجوم عليهم . ولقد ظهرت صعوبة فيما بعد لحفظ النظام على طول ذلك الشاطئ . وحل الفقر بالبلاد وأصبح ميناءا صبراته ولبتس مانيا خرائب واندثرتا تحت الرمال وبذا ولى عهد طرابلس الذهبى .



... وتحولت الأراضي المخصبة إلى صحراء قاحلة ...



وجاء من الشرق عام ٦٤٢ أول احتلال عربى لهذه البلاد بقيادة عمرو ابن العاص الذى حل بطرابلس وتبعه بعد ذلك بثلاثة أعوام عبد الله بن سعد وتتابع حكام طرابلس من العرب فكانت تحت إمرة الأمويين ثم العباسيين ومن بعدهم الفاطميين .

وبعد أن حكم العرب البلاد مدة ٥٠٤ سنوات أى فى عام ١١٤٦ جاء روجر الثانى « Roger II » النورماندى من صقلية واحتل طرابلس ، فأصبحت بذلك مستعمرة صقلية حتى عام ١١٥٨ . وعند ما سمع العرب بتقدم عبدالمؤمن وجيوشه العربية ، قاموا وذبحوا الحامية الصقلية القليلة العدد ومن ذلك التاريخ حتى عام ١٥١٠ كان الحكم العربى مركز الأركان .

ودخلت البلاد بعد ذلك تحت النفوذ الاسبانى حتى عام ١٥٣٠ ، عند ما جاء فرسان مالطا التابعين « لأمر القديس يوحنا المقدسى » (Order of St. John of Jerusalem) الذين أخرجوا الاسبانيين . وفى عام ١٥٥١ دحر سنان باشا ودرغوت أولئك الفرسان وجعل الأخير من طرابلس مقاطعة تدفع الجزية لتركيا التى بقى حكمها حتى عام ١٧١١ عند ما قام أحمد باشا القره مانلى وحكم البلاد (برقة وطرابلس) وجعل الحكم وراثياً فى عائلته حتى عام ١٨٣٥ .

* * *

لقد كان أهالى هذين القطرين أداة فعالة فى هيئة القرصان الجزائرية فكانوا يهددون حركة السفن فى البحر الأبيض المتوسط حتى عام ١٨١٦ . ولقد جرد الإنكليز حملة بحرية لقمع ذلك التهديد وكذلك فعلت أمريكا وفرنسا

على حد سواء . وإن ذلك الهجوم على مدينة طرابلس عام ١٨٠١ ، ١٨٠٣ ، ١٨٠٤ لهو حادث معروف فى تاريخ البحرية الأمريكية . وكان هجوم الإنكليز والفرنسيين فى أواخر القرن السابع عشر وفى أوائل القرن الثامن عشر قد أدّى إلى هدم مدينة طرابلس .

أما برقة ، فكانت قد استعمرت فى القرن السابع قبل الميلاد من قبل الإغريق الذين جاء أكثرهم من جزيرة كريت وكانت شمات « Cyrene » العاصمة وكانت أغنى وألمع مدينة فى العالم الإغريقى . ولقد صد أهل هذا القطر مرات عدة غارات القرطاجنيين وبقوا تحت تأثير الشعور الإغريقى حتى سنة ٣٢٢ بعد الميلاد عند ما أغار عليها بطليموس الأول الذى دعى برقة « بنتابوليس » لتدل على اتحاد المدن الخمس المهمة وهى شمات وطولمتّا وابولونيا وتوكرا ومن ثم بيرينتسشى (بنغازى)

ووقعت برقة فى أيدى الرومانيين عام ٩٦ ب.م . ومنها ومن جزيرة كريت أُلفت مقاطعة رومانية من قبل الإمبراطور اغوسطس « Augustus » .

ولقد قيل إنه هلك حوالى المئتى ألف رومانى وأغريقى غام ١٠٠ ب . م . فى عهد حكم تراجان « Trajan » فى مصر وبرقة عند ما قامت ثورة عظيمة فى تلك الأقاليم . ولقد هيأت تلك الفاجعة الباب لهجوم البربر على برقة ومن بعدهم العرب والأتراك .

كان ساحل البلاد القليل التعاريج مسرحاً لأعمال الأساطيل المختلفة ذلك العمل الذى خرب الكثير فى برقة مثلما كان نصيب طرابلس الغرب أيضاً . ونسرد هنا ترجمة ما جاء عن خرافة « الأخوين فلايني Philaeni » كما ذكرها

المؤرخ الروماني چايوس ساللوستيوس كرسبوس «Gaius Sallistus Crispus»
(٨٦ ـ ٣٤ ق . م) فى كتابه بلّوم يوچور ثنيوم «Bellum Jugurthinum»
التى هى خاتمة ملائمة لهذا الفصل :

« من الوقت الذى حدت بى الحوادث التى وقعت فى ليبتاس أن أتكلم، فإنى »
« أعتقد بأن لى الحق بأن أتحدث عن أعمال عظيمة وجريئة وسمو أخلاق شخصين »
« من أهالى قرطاجنة اللذين كانت شجاعتهما قد ذكرتنى بها البلاد المار ذكرها . »
« مع أن معظم افريقية كان خاضعاً فى ذلك الوقت لقرطاجنة ، فإن أهالى »
« شيرينى (شحات) كانوا أغنياء وأقوياء . لقد كانت رمال الصحراء ممتدَّة »
« باتساق بين مقاطعتى قرطاجنة وشحات، ولم يكن هنالك أنهار أوجبال يمكن »
« اتخاذها كحدود بين البلدين . كان هذا سبباً فى نشوب الحروب بين سكان »
« تلك البلاد . ولقد كُسرت شوكة أساطيل وجيوش الطرفين وانحطت »
« قوتاهما من أثر تلك الحروب . وفكر الأهلون أن نصرهم واندحارهم »
« سيوقعانهم فريسة سهلة المنال لأى فريق ثالث . فاتفق الطرفان فيما بعد »
« على هدنة تمخضت عما يأتى : ـ »

« حُدد يوم يقوم فيه عدّاءون من كلا البلدين يجرى فيه فريق شحات لجهة »
« الغرب، ويجرى عدّاءو قارطاجنة لجهة الشرق وتكون نقطة التقاء الفريقين »
« هى الحد الفاصل بين القطرين . وانتخب القارطاجنيون الأخوين فيلايني »
« لذلك اليوم . ولقد أدهش ذانك الأخوان الغير بعدوهم السريع . وكان »
« أبطال شحات بطيئين ، ولا أدرى هل ذلك من إهمالهم أو لطارئ يحصل »

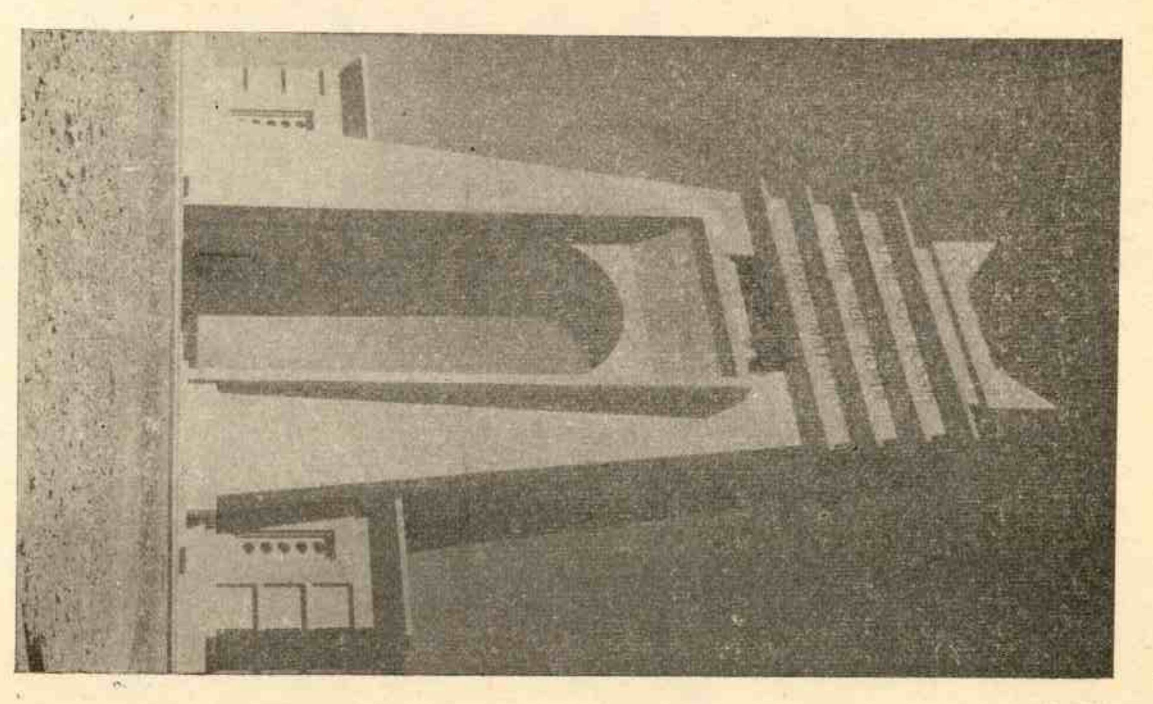
« عادة فى تلك البلاد كالذى كان يعرض للمسافر أثناء سفره لهبوب رمال »
« الصحراء والزوابع الرملية التى كثيراً ماتحصل فى السهول المقفرة. وكانت »
« تلك الرياح والزوابع تملأ برمالها الأفواه والعيون ولربما كانت تؤدّى إلى »
« العمى وبذا كان يضطر المسافر الى التوقف ريثما تهدأ العاصفة » .

« وعند ما وجد أبطال شحات أنهم قد غلبوا على أمرهم وخوفاً من أن »
« يوبخهم أهل بلادهم ويخذلوهم لخسرانهم، ادعوا أن عداءى قرطاجنة ابتدءا »
« سيرهما قبـل اليوم المنشود وقررا عدم الاعتراف بتغلب الاخوين فيلاينى »
« محبذين أى حل آخر على عار الخسارة . »

« بذلك صرح القارطاجنيون بأنهم مستعدون للقيام بتجربة أخرى مماثلة »
« على شرط أن يسرى ذلك على كلا الطرفين . أما ممثلو شحات فلقد اقترحوا »
« تعديلاً على ماأبداه ممثلو قارطاجنة وذلك إما أن يدفنوا عداءى قارطاجنة »
« أحياءً فى البقعة التى ادعيا بأنهما وصلاها وتـكون تلك البقعة بمثابة الحد »
« بين البلدين ، أو أن يُترك عداءو شحات يعدوا غرباً إلى أن يصلا إلى نقطة »
« يُدفنان بها أحياءً وتـكون بمثابة حدود بلادهم . »

« وقبل الاخوان فيلاينى ذلك الشرط حالاً وبدون تردد ودفنا أحياءً »
« بنفس المـكان الذى عيّناه لرفع اسم بلادهم عالياً . ولقد أقام القارطاجنيون »
« نصباً تذكارياً للأخوين فيراينى بالبقعة التى دفنا فيها ومُنحا أعلى درجات »
« الشرف من قرطاجنة لتضحيتهم تلك . »

واليوم يقوم قوس هائل فى وسط طريق الصحراء يذكرنا بذلك العمل الماضى الجرىء . ولقد دعاه جنود الجيش الثامن أثناء مرورهم به « بالقوس الرخامى » .



... ولقد دعاه جنود الجيش الثامن أثناء مرورهم به « بالقوس الرخامى » ...

الفصل الثالث

ولاة ليبيا (١٨٣٥ — ١٨٧٤)

لقد اختلف المؤرخون بخصوص الأسباب التي أدت إلى خلع على الثانى آخر أمير من العائلة القرهمانلية الحاكمة ورجوع ليبيا إلى الوصاية والحكم من قبل « الباب العالى » .

ويقال إن السبب الرئيسى منسوب إلى الكولونيل وارنجتون «Col. Warrington» القنصل البريطانى الذى صرح علانية بعدم موافقته على على ارتقاء علىٍّ العرش الذى خلا بذهاب والده الذى أُجبر على التنازل . وكان ذلك التصريح من قبل القنصل البريطانى تدعيما وديا لجانب سيدى محمد[1] المطالب بذلك العرش ، ومعاضدا كذلك لرئيسىْ الثوار عبد الجليل سيف النصر من قبيلة أولاد سليمان « فزان » وغومة بن خليفة من قبيلة محاميد « الجبل » . وكانت هناك اعتراضات أخرى ضد على الذى كان ضعيفاً تجاه ابن أخيه « سيدى محمد » المار ذكره وضعيفاً كذلك فى عمله تجاه الثوار . وزيادة على ذلك فإن عليا طلب مساعدة استانبول لإرجاع الأمن لنصابه حين

---

(١) سيدى محمد هو ابن محمد بك أكبر أنجال الأمير يوسف وهو الذى أغضب والده والتجأ لمصر .

لم يستطع ضبطه . ولقد أعطى هـذا السبب الأخير الفرصة للحكومة التركية لـكى تحيك مؤامرة لخلع على واسترجاع السلطة لمراقبة إدارة طرابلس وبرقة . وهناك حقيقة واقعة وهى أن سلطان تركيا أرسل شاكر افندى لطرابلس « بفرمان » مثبتا به عليا بأنه السيد المطاع والأمير على طرابلس وبرقة ، والذى يجب على الناس أن يخلصوا له ولـكنه فى النهاية ظهر أن هذه الخطوة كانت عديمة الفائدة ، وعندها صمم الباب العالى على إرسال والٍ جديد بدون إخبار على بذلك .

وفى ١٤ مايو سـنة ١٨٣٥ أبحر أسطول تركى مؤلف من اثنين وعشرين قطعة بحرية قاصداً ميناء طرابلس وعندماصعد على إلى سفينة الأميرال لاستقبال مصطفى نجيب باشا ممثل السلطان اعتقل هناك على ظهر تلك السفينة ونزل مكانه نجيب باشا الذى أعلن للملأ فى طرابلس بأنه قادم ليهيئ الأحوال ويرتبها لاستقبال محمد رئيف باشا الذى عينه السلطان حاكما عاما على ليبيا . وكان محمد رئيف باشا الحاكم السابق للدردنيل وجاء فيما بعـد لطرابلس فى سبتمبر من السنة ذاتها . وكان أول عمل قام به هو ترحيـل كل من هو قارهمانلى إلى استانبول باستثناء يوسف القارهمانلى الذى بلغ من العمر عتيا ، وأولاده الذين أنجبهم من نسائه وزوجاته العبيد . وعند ما علم بذلك أحد أولاد يوسف وهو سيدى عثمان « الذى لم تـكن أمه من العبيد » والذى كان حاكماً على مقاطعة بنغازى هرب إلى مالطة ، ولقدعُين مكانه هناك مصطفى رئيف شقيق الوالى الجديد حتى نهاية شهر نوفمبر .

لم يوافق الأهالى ولا القبائل القاطنة وراء المنشية « تبدأ من نقطة عند قرقارش وتنتهى فى بوستة » على سلطة الأتراك ولم يهتموا بها ، ولقد أظهروا عدم رضاهم بالشكاوى ومقاطعة أسواق طرابلس ولكن دون أى اضطراب . وكانت هذه الحالة غير المرضية قد استفزت محمد رئيف لإرسال الجند لإخضاع أهالى تاجورا أولاً ثم أهالى جنزور والزاوية والقرى الأخرى . ولقد نجح الجند فى إخضاع الأهالى بالقوة ولكن الطرق التى استعملوها كان يخشى من أن تؤدى إلى تكرار الاضطرابات وهكذا. وفى يونيو سنة ١٨٣٦ . أُرسل طاهر باشا قائد الأسطول التركى ليتدبر الحالة قبل استفحالها .

وعلى كل حال ، فلقد كان السبب الأساسى لتعيين طاهر باشا هو إخضاع مصراته التى كان يحكمها عثمان آغا[١] والتى أبت أن تفرط فى استقلالها الذى أخذته فى أواخر أيام حكم على القاره مانلى . ولقد أخضعت مصراته فيما بعد فى التاسع من شهر أغسطس عام ١٨٣٦ وأرسل عثمان آغا سجيناً إلى استامبول . ورجع طاهر باشا إلى طرابلس وعمل هناك كقائد أعلى حتى نهاية عام ١٨٣٦ ، عند ما استدعى محمد رئيف باشا وعين مكانه رسمياً حاكماً عاماً . ولقد حاول أن يرفع الضرائب من ٣ ٪ إلى ١٠ ٪ ولكن محاولته ذهبت هباء حيث أبانت

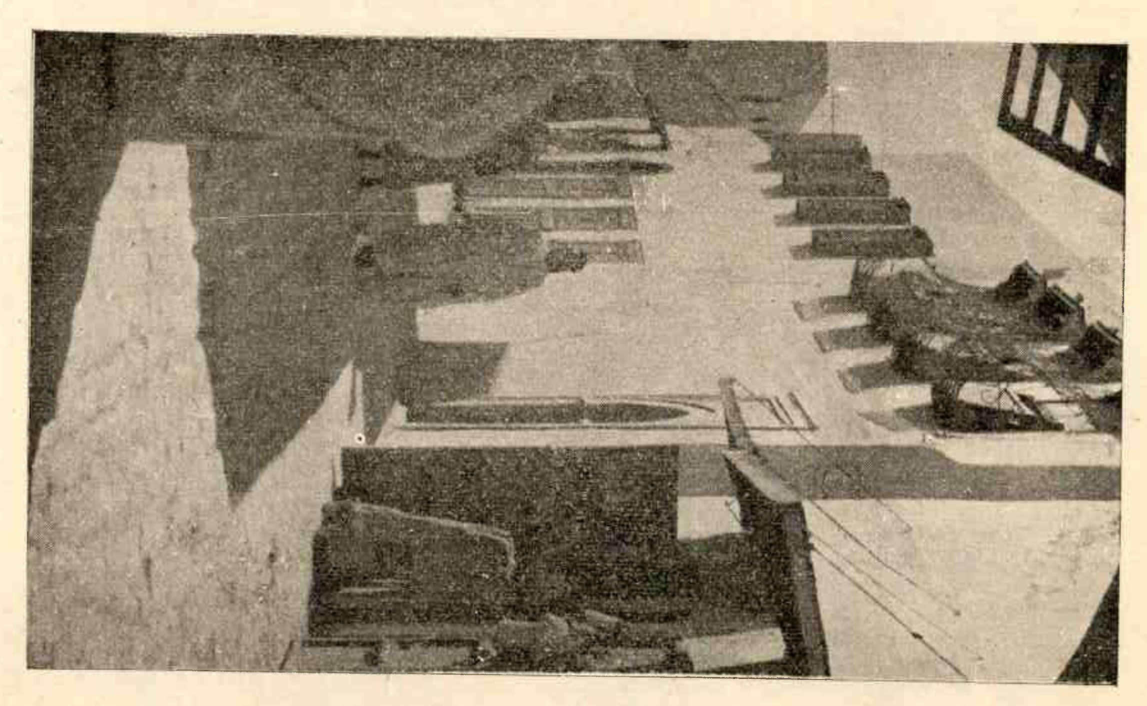
---

(١) آغا هى رتبة تركية تقابل رتبة كولونيل وكذلك كان يدعى بها أولئك « الطواشى » أو المخاصى الذين كانوا مسؤولين عن الحريم بالعهد العثمانى . وعثمان آغا لم يكن منهم بل كان كولونيل .

الحكومات الأخرى أن الضرائب قد حددت ضمن معاهدات عند ما تولت تركية الحكم على ليبيا .

كان جمعة « الثائر » في يِفرِنْ، وكان يحكم كملك غير متوج على الجبل ، وفي ربيع عام ١٨٣٧ ، كان غومة وابن عمه بيري يتنازعان الحكم على تلك البقعة الجبلية الجميلة . ومحاولة للتخلص من ذلك الخصم أطلق غومة في إحدى الليالي النار على أخي بيري الذي كان يظنه بيري نفسه . ولقد أدى هذا العمل إلى انقسام القبائل في الجبل إلى قسمين متنافرين . قسم بقي موالياً لغومة وقسم آخر تحيز لبيري . ولقد خدم هذا الانقسام بالطبع مآرب طاهر باشا الذي حصل على معاونة بيري وأتباعه .وضمهم لجانبه وأغار على غريان والجبل ولكنه أخفق، وبعد أن انتصر غومة على طاهر باشا ، أغار الأول على سهول الزاوية وزوارة ورجع ليفرن محملاً بالغنائم والأسلاب . وكان انكسار طاهر باشا في حربه مع غومة قد أدى إلى سقوطه وتنصيب حسن باشا مكانه في أبريل سنة ١٨٣٧ فأحضر معه عثمان آغا الذي كان قد أُخلى سبيله آنذاك ورجع محملاً بالهدايا التي كان القصد منها واضحاً للتقرب من قلوب السكان وكسب صداقتهم .

وابتدأ حكم حسن باشا بروح التسوية والصلح وبرغبة التجديد . ولقد منَح الثائرين : عبد الجليل حكم فزان، وغومة حكم الجبل بشرط أن تدفع فزان جزية مقدارها ٢٥٠٠٠ قرش و ٨٠٠٠ قرش يدفعها الجبل، ووافق الثائران على ذلك ، ولكن عند ما طلب حسن باشا دفع الجزية المتأخرة عن السنين السابقة،



... ولقد أظهروا عدم رضاهم بالشكاوى ومقاطعة أسواق طرابلس ...

قطع الثائران المفاوضات وجعلا يعبئان القوات لإرهاب الحاكم الجديد . وعندما علمت استامبول بحبوط مسعى حسن باشا استحضرته لتركية وعينت فى عام ١٨٣٨ على عسكر باشا مكانه . ولقد فتح الأخير باب المفاوضات من جديد مع الثائرين وجعل الأمن يحتلّ نصابه بموافقته على عدم دفع الجزية القديمة . وعلى كل حال فلم يكن عبد الجليل أو غومة ينويان القيام بما تعهدا به . وعندما جاء موسم الحصاد، وهو الوقت المعين لدفع الجزية ، رفض العرب والبربر دفع أية جزية واستؤنفت الخصومة من جديد . ولقد تغلب الأتراك على عبد الجليل قرب مصراته ولكنهم غُلبوا على أمرهم مع جمعة فى غريان . وامتدت الحرب فى أوقات متفاوتة حتى عام ١٨٤١ عند ما صمم على عسكر بأخذ المسألة بالحزم والشدة، فأمر أحمد باشا أحد ضباطه الكبار بالهجوم على القوات الثائرة فى غريان ، وقد نجح ذلك الهجوم من أول مرة ولكن غومة وعبد الجليل كانا قد فرّا . وبعد ذلك بقليل ألقى القبض على عبد الجليل الذى كان قبل ذلك بوقت وجيز مجتمعاً بالقنصل البريطانى الكولونيل وارنجتون ، وذُبح عبد الجليل وأتباعه آنذاك . ويذهب المؤرخ الفرنسى فرود « Ferroud » إلى القول بأن وارنجتون كان متفقاً مع الأتراك على تلك الخطة التى حيكت للايقاع بعبد الجليل .

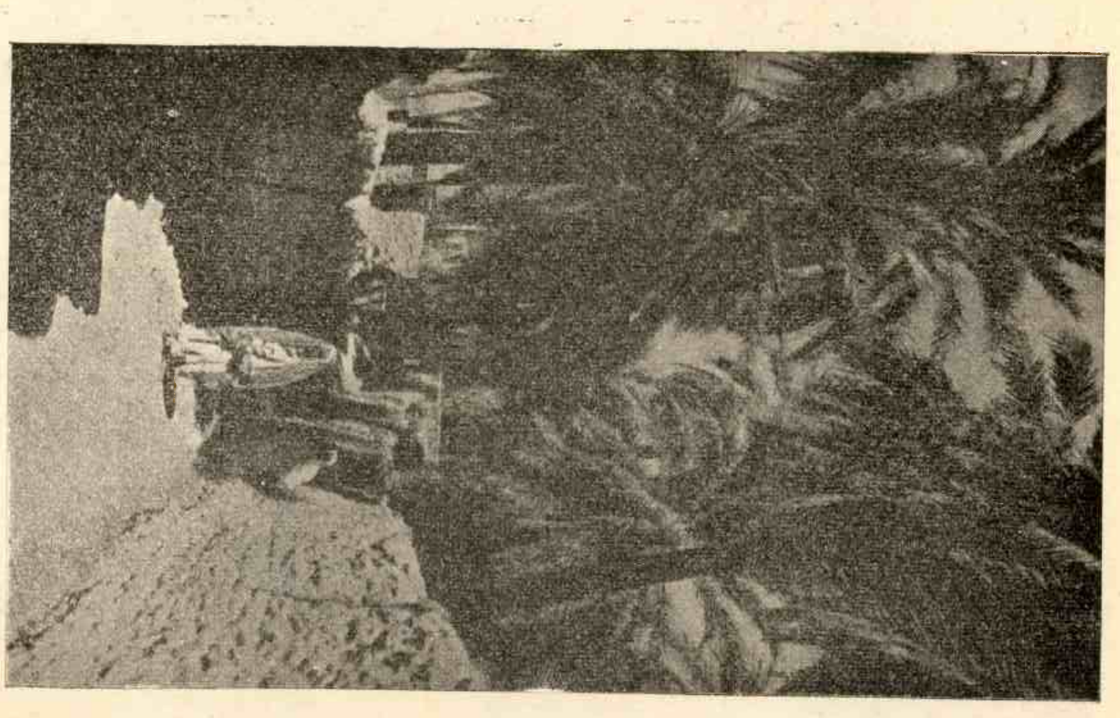
وفى يوليو سنة ١٨٤٢ استدعى الوالى على عسكر إلى استامبول وعين والٍ آخر هو محمد أمين باشا الذى أخذ مكانه فى طرابلس وفى عهده أرسل غومة وثائر آخر يدعى عادل من برقة طالباً باستسلامهما . وأن محمد أمين

الذى كان قد نُصح بأن لا يثق بالثوار دعاهما لزيارة طرابلس ولبّيا الدعوة وجاءا ومعهما ضباطهما، وكان أحد هؤلاء الضباط يدعى « على العزف » الذى أرسل ليفرن ليهدئ الحالة هناك . وأثناء غيابه قُبض على غومة وأتباعه وأرسلوا إلى استامبول ، وعندما سمع على العزف هذا بذلك الغدر وتلك الخيانة بدأ بعصيانه ضـد الأتراك الأمر الذى جعل أحمد باشا مرة أخرى يهاجم الجبل ولقد وفق فى ذلك للمرة الثانية .

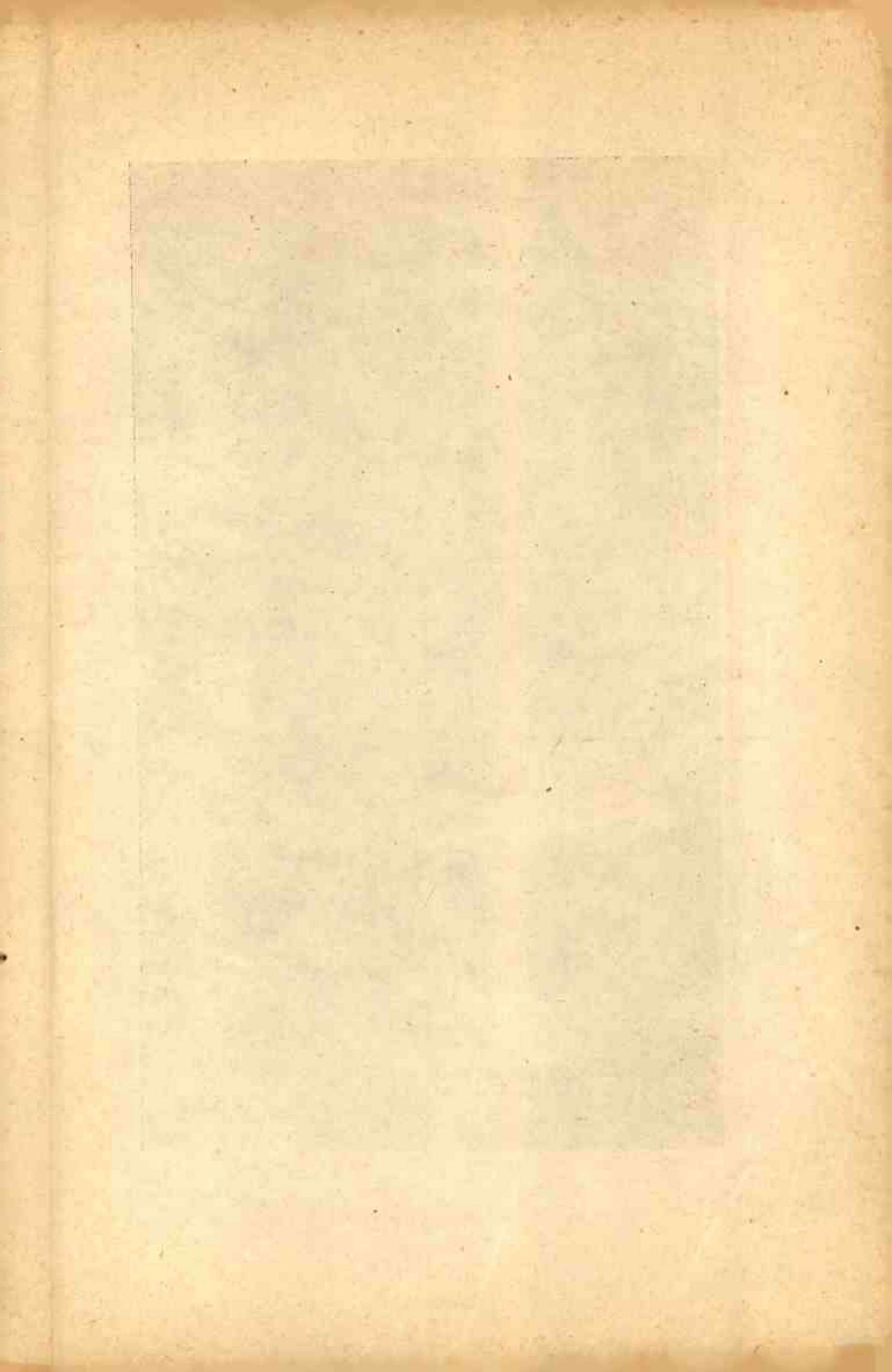
لقد بقى جبل الأمن غير مستقر ومهدّد لمدة سنتين ، وفى عام ١٨٤٤ ، ثار الجبل تحت قيادة ميلاد الذى كان أحد ضباط غومة فيما مضى . وعين بعد ذلك أحمد باشا نائب والٍ لمنطقة الجبل وأخضع العصاة تدريجياً .

وفى عام ١٨٤٧ تغير الأسلوب فى تعيين الولاة ، وصمم أولو الأمر فى استامبول على تحديد مدة حكم الوالى بأربع سنوات . وعلى هـذا النحو عُين والٍ جديد يدعى محمد راغب باشا ، وفى أواخر ذلك العام ، قُتل أحمد باشا نائب الوالى بمنطقة الجبل وكان ذلك إثر كمين نصب له فى منطقة كِـكَّلاَ . وفى يوم ٢٢ ديسمبر أرسل راغب باشا حملة تأديبية للجبل تحت إمرة بشير بك الذى أخذ طريق جنزور ومنهـــا قصد لغريان . وبوصول الحملة إلى كـكَّلا جعلوا عاليها سافلها .

لم يعين راغب باشا تركياً فى هـذه المرة نائبا له فى منطقة الجبل ، بل عين بربريا من أتباع غومة يدعى قاسما . ولقد نجحت تلك الفـكرة واستتب الأمن حتى عام ١٨٥٥ .



... تلك البقعة الجبلية الجميلة



ولقد خلف راغب باشا فى نهاية عام ١٨٤٨ الحاج احمد عزت باشا . ولقد تفشى وباء الكوليرا أثناء حكمه « ١٨٥٠ » وأدى تفشى ذلك الوباء بالكثير من الناس إلى الفرار إلى مالطة وتونس ونقص عدد الأهالى فبلغ ٥٠٠٠ نفس ، وارتفع تعداد الموتى حتى بلغ ٨٠٠ شخص وعند نهاية مدة حكم هذا الوالى الأخير تولى الحكم من بعده مصطفى نورى باشا الذى وصل لطرابلس يوم ١٦ سبتمبر سنة ١٨٥٢ ، وفى عام ١٨٥٤ كان غومة الذى أُسر عام١٨٤٢ قد فرّ من تركيا ووصل تونس . ومن هناك قدم طلباً لنورى باشا بالسماح له بدخول مسقط رأسه وتَعيينه بوظيفة فى حكومة ليبيا ، فكان جواب الوالى الرفض . ولقد تملك غومة الغضب لذلك فترك تونس ودخل جبال ليبيا ودُعى بمحرر الجبل . وبدأت الثورة وتغلب غومة على الحكومة المحلية بالجبل وكسر تلك القوة النظامية التى كانت تشد أزر الحكومة . ولقد تبع ذلك سنة غير مخصبة وجدب ممـــا ساعد على رجحان كفة الأتراك وانتصارهم عام ١٨٥٦ . وهرب غومة الى تونس وعند ما وجد أن ليس له من يأويه هناك دخل إحدى الواحات فى فزان . وفى يونيو من العام ذاته وشى به عندالأتراك الذين هاجموه وقتلوه أثناء ذلك واستسلمت الواحة التى كان لاجئاً فيها .

بعد ذلك بمدة وجيزة جاء عثمان باشا وتعين والياً خلفاً لنورى باشا وتسلم حكمه يوم أول نوفمبر سنة ١٨٥٥ ولقد أعلنت فصيلة تركية العصيان أثناء ولايته حيث كان أفراد تلك الفصيلة لم يتسلموا معاشاتهم كاملة وكانوا قد بقوا

بالبلاد مدة تزيد على الوقت المحـدد لوجودهم . ولقد قضى على ذلك العصيان بمساعدة بقية الحامية .

وجاء بعـد عثمان باشا أحمد عزت باشا والى برقة ، وعهد إليه بالولاية على ليبيا تقديراً له على حسن عمله وأخلاقه الحسنة أثناء خدمته فى برقة . ولقد أوقفت فى عهده تجارة الرقيق

وكانت ولاية محمد نديم باشا خلفه ذات أهمية حيث مُدَّت أسلاك البرق بين طرابلس ومالطا، وثانيا لحدوث ثلاث حرائق كبيرة فى عهده كانت أولاها قد حصلت فى نوفمبر سنة ١٨٦٢ عند ما كان الوالى غائبا فى بنغازى وقد أدى ذلك الحريق إلى خراب معظم نظارة المالية ومعظم سجلات الإدارة فى طرابلس. وفى يوم ٢٠ مايو سنة ١٨٦٤ فى الساعة الثانية بعد الظهر اشتعلت النار فى إحدى مستودعات المفرقعات وقتل من جراء ذلك مئات من النـاس وتخربت منطقة واسـعة بالمدينة نفسها . وثالث حريق كان حريقا جنائيا مدبّراً فى منطقة زليطن حيث قام تاجران شقيقان هناك وهما على ومنصور بن قدارة بإشعال النار فى كنيس اليهود وكان الغرض من ذلك هو ترحيل التجار اليهود .

وجاء بعـد ذلك الوالى على رضا باشا وكان جزائرى المولد وتعلم فى فرنسا وأتقن اللغة الفرنسية، ولقد عمل بكل ما فى وسعه لتحسين أحوال ليبيا. وفى عام ١٨٦٩ ألحّ على الحـكومة العثمانية أن تصدق على مشروع مهم وهو سن وتشريع قوانين المحاكم الأهلية ومحاكم الجزاء والمحاكم التجارية وتأسيس تلك المحاكم . وكانت هنالك مشاريع أخرى لو تابع الأتراك القيام

بها لكانوا قد حسنوا الحالة الاقتصادية بالبلاد بوجه عام. ولقد أدى اجتهاد وقدرة هذا الوالى إلى حسده فى الدوائر الدبلوماسية باستامبول ، وكذلك فإن تلك الدوائر حملت أولئك الممثلين الدبلوماسيين الأجانب على الاعتقاد بأن تحسّن أحوال ليبيا لا يوافق أغراضهم ومطامعهم، وهكذا نجحت تلك الدوائر فى اقناع أولى الأمر بإقصاء رضا باشا سنة ١٨٧٠ وتعيين محمد حالات باشا مكانه .

كانت نهاية عام ١٨٧٠ ـ ١٨٧١ معروفة بعام الجدب وقلة الأمطار . وقد دعا الأهلون هذا العام بعام الذبح حيث ذبحت أعداد هائلة من المواشى ، أولا لقلة المـاء المطلوب لسقيها وثانيا لنقصان الحبوب على أنواعها ، ذلك السبب الذى أجبر الناس على المعيشة على لحوم تلك الماشية ، وبينما كانت المجاعـــة ضاربة أطنابها بالبلاد ، أسس حالات باشا المطاعم الشعبية للمحتاجين ، وكذلك فإن هذا الوالى هو الذى افتتح مستوصفا طبيا بطرابلس للفقراء من السكان ، ومع ما قام به هـذا الوالى من الخدمات الطيبة ، فإن المؤرخ الفرنسى « فرو » قد وصف حالات باشا بأنه جاهل ومتعصب للدين الإسلامى ، وأن سوء إدارته أدى إلى فقر الأهالى وهو السبب الذى استدعى من أجله فى سبتمبر سنة ١٨٧١ .

وخلفه فى منصب الولاية محمد رشيد باشا الذى كانت مدة حكمه من يوم ٨ سبتمبر سنة ١٨٧١ إلى ٢٧ أبريل سنة ١٨٧٢ فى الوقت الذى كانت مجموعة

الموظفين فى عهده جماعة مرتشية وفى حالة غير حسنة فى معاملتهم مع الأهالى. ولقد أقصى أولئك الموظفون وأرجعوا إلى تركيـة وعين مكانهم موظفون حديثون. ولسبب ما ، أقصى كذلك فى أبريل سنة ١٨٧٢ محمد رشـيد باشا وعين خلفاً له على رضا باشا الذى استدعى عام ١٨٧٠ كما سبق والذى اكتسب عطف وثقة الحـكومة العثمانية فيما بعد.

كانت خدمة على رضا باشا أثناء توليته شؤون الولاية بالمرة الأولى تمتاز بأنه كان يتحرى ويعمل لتقدم المجموع ولـكنه أجبر على عدم المضى فى ذلك العمل لشق فزان واالمقارحة وأولاد عثمان وأولاد زويد عصا الطاعة والذين كانوا يحاربون ويناهضـون الجنود التركية ، وكانت قبائل التوارق تسلب القوافل، وكانت غدامس فى حالة هياج وفوضى. ولقد عمل رضا باشا على الانقاص من امتيازات وحقوق قناصل الدول الغربية ، تلك الامتيازات التى منحهم إياها القره‌مانليون والتى كانت مقطوعة لهم بمعاهدات دولية . وانتهت مدة ولاية رضا باشا الثانية عام ١٨٧٤ وعين مكانه سامى باشا.

الفَصلُ الرّابعُ

ولاة ليبيا (١٨٧٤ - ١٩١١)

لقد نظم سامى باشا ضريبة « الميرى » وكذلك نظم اقتصاديات البـلاد وشجع الصناعات المحلية وعلى الأخص صناعة الجلود. ويسجل التاريخ هنا أنه أثناء حكمه حدثت عاصفة فى شهر مارس سنة ١٨٧٥ اختفت على أثرها سبع سفن من على الشاطئ فى مكان يدعى بالأزرد. وبعد حكم دام تسعة عشر شهراً جاء مصطفى عاصم باشا وأخذ إدارة البلاد من سامى باشا، وأثناء حكمه استتب الأمن نهائياً فى فزان، وافتتحت قرية غات «Ghat» وأعطى التعهد لأهاليها بحمايتهم من التوارق . ولقد قدم هـذا الوالى مثلاً أعلى أثناء حكمه ، فصار يتجول بالبـلاد طولاً وعرضاً ، فزار فزان والجبل ، وصار يستمع لشكاوى السكان بخصوص تصرف السلطات المحلية ، ولقدقطع الرشوات التى كان الموظفون يأخذونها هناك وضرب مثلاً لذلك حيث رفض أن يقبل هدية من الذهب قيمتها ١٦٠٠ جنيه استرلينى قدمها له أهالى غدامس . وعند ما كان فى نالوت « Nalut » بُلِّغ تعيينه حاكماً عاماً على اليمن وإن خلفه سيكون مصطفى باشا أحد الضباط الكبار . ولقـد قام بوظيفته المدنية كوال وقائد لجيوش الاحتلال . ولم يكن فضوليا ، ولم يحدث أثناء توليته الحـكم سوى حادث زيارة الفريق حسن باشا أميرال الأسطول التركى لطرابلس .

وعين بعد مصطفى باشا وال آخر يدعى على كمالى باشا وكان هذا فيما سبق حاكماً على ولاية برقة . وكان تعيينه فى يناير سنة ١٨٧٨ وبعد ثلاثة أشهر جاء وال آخر يدعى محمد صبرى باشا الذى بقى بالحكم مدة ثمانية أشهر ، وحل بعده محمد جلال الدين باشا فى نهاية نوفمبر سنة ١٨٧٨ . ولقد بقى هـذا الأخير حتى شهر يوليو سنة ١٨٧٩ عند ما تعين أحمد عزت باشا والياً مكانه . وكما هو معلوم فان عزت باشا كان والياً على ليبيا من سنة ١٨٥٧ إلى سنة ١٨٦٠ وفى أثناء ولايته الرشيدة ، كسب عطف وحب الأهالى فشجع العمران وأسس مدرسة الصناعات وأسس كذلك مستشفى للغرباء وسوقاً سمى بسوق الحميدية . ولقـد بنى وأصلح قسماً من سور المدينة وأمر ببناء منارة على ميناء طرابلس . وفى مايو سنة ١٨٨٠ تعين محمد نظيف باشا والياً وفى مدة عام بعد توليته الحـكم ، أعلنت فرنسا حمايتها على تونس . ولقـد أدى ذلك العمل إلى قيام مظاهرات عديدة فى جميع أنحاء ليبيا ضد الروم[١] البغضاء . ولقـد غذّت وشجعت السلطات المدنية والدينية تلك المظاهرات ، وكانت نتيجة ذلك أن القبائل التى كانت معادية للسلطات التركيـة فى تلك الأثناء ، انضمت لها بعاطفة الدين . وعند ما أوجس الأتراك خيفة من أن تمتد لليبيا أعين الأوروبيين ، أرسـل الفريق وصفى باشا بأوامر للمحافظة على سلامة البلاد ، وأقفـل الفريق وصفى باشا مدرسة الصناعات وجعل منها معسكراً للجنود التركيـة . وصارت أبواب طرابلس تقفل أثناء الليل وصار يتحقق من هوية الداخلين والخارجين.

---

(١) يطلق الأهالى اسم رومى فى ذلك الوقت على كل من هو أوروبى .

وبنى استحكامات جديدة فى برج التراب، وكذلك فى سانية الباشا. واستجلبت المدافع والذخائر من تركية. ولكن كل هذه التجهيزات والتحضيرات لم تمس، ولم يحصل ما كان موجساً منه. ولقد أجدبت البلاد جدباً عظيماً عام ١٨٨١ وانتشرت المجاعة العامة انتشاراً فظيعاً. وأُحضر الدقيق لأول مرة من تركيا لتفريقه على القبائل التى كان نصيبها من تلك المجاعة القسم الأكبر. ويعرف ذلك العام بين الناس بعام الدقيق.

وتعين أحمد راسم باشا الذى جاء بعد نظيف باشا عام ١٨٨٢، وقدر لهذا الوالى أن يبقى فيها مدة تزيد على ١٥ عاماً. وأثناء تلك المدة أسس المدرسة الحربية فى « باب البحر »، وجلب الماء لطرابلس من « بومليانه » وكذلك فإنه أدخل صناعة الحرير للبلاد، وأمر بزراعة الآلاف من أشجار التوت فى بقعة بالقرب من « سيدى المصرى » المعروفة حتى يومنا هذا « بحدائق راسم باشا ».

كان الوفاق الذى حصل بين الأتراك والأهالى بعد أن ضمت فرنسا تونس لها، قد تقلص شيئاً فشيئاً، وبدأت العلاقات تسوء. ولقد بلغت أسوأها عند ما بدأت الثورة ضد الدولة، وكان ذلك أن قام رجل يدعى « الصغير » أو « الأصغر » وفتك بحامية « غات ». وقمعت تلك الثورة بشدة متناهية وبدأ الحقد يسود من جديد. وهناك قصة تروى عن تلك الحادثة نلخصها فيما يلى :ـ

كان هنالك موظفان تركيان فى غات، أحدهما مدنى ويدعى « علوى »

والآخر عسكرى ويدعى « شا كرا » . وكانت حاميتهم تتألف من حوالى ستين عسكرياً من سكان البلاد مقرّها فى « مُرزق » وكان شا كر يسكن خارج « غات » بينما « علوى » كان يسكن بالقرية مع زوجتيه وبنيه . وكان بيتـه محاطاً بسور وعليـه باب قوى من الخشب . ولقـد وصل لمسامع الموظفين إشاعات عن مناوشات حصلت بين الثوار والجنـد ولـكن لم يكن هنالك أى أثر لتلك المناوشات فى غات نفسها . وتحادث ذانك الموظفان وقررا أن يذهب شا كر للتجول فى المنطقة مدة يوم أو يومين بجهة « بركات »[1] فأخذ معظم جنوده وترك ١٢ جندياً تحت إمرة شاويش يعتمد عليـه . وكان اليوم هادئاً والحياة عادية بالقرية . ولم تـكن هنالك أية إشارة تدل على أن هنالك ثورة كامنة .

وتعشى علوى مع عائلته ، وعند ما أوَوْا لبيوتهم للنوم ، خرج هو لمـكان يطل منه على الباب الخارجى ، وأخذ فى تدخين نارجيلته بكل هدوء . وكان يشعر بالسعادة على أتم وجوهها . حيث كان الوالى أحمد راسم باشا صهره ، وهـذا مما يثبته فى وظيفته ويحميه . . ، وفجأة سمع أصواتاً لم يتبينها لبعدها ، وبعدها صارت طلقات النار تظهر بالليـل كالبرق . وصارت أصوات التوارق تصم الآذان ، وعبارات التهديد والوعيد تسمع بكل وضوح . وعلم علوى ما وراء ذلك ، فنادى صالح أحد العساكر الملحقين ببيته للخدمة وكذلك نادى فريداً طباخه الأناضولى الأمين ، فأرسل الأول ليرى هل رجع شا كر

(١) هى قرية للجنوب من غات .

من رحلته ، فلربما يحتاج لمساعدته فيما بعـد ، ومن ثم ذهب وفريد وأحكما سدّ الباب . وعنـد ما لمح على أهل بيته الخوف أرسلهم لأمكنتهم وصارت الحجارة تنهال على ساحة البيت .

جد الجد، وأخذ علوى بندقيته وتمنطق بحزام ذخيرته الجلدى «سلاحلك» وصعد لأعلى البيت ليرى ماذا سيتم فى تلك الليلة . كان الظلام شديد الحلـكة ، وعنـد ما تعودت عيناه على الظلام صار يرى بعض الأشباح والخيالات تغدو وتجئ حاملة أشياء هى شبيهة بالعصى . وتأكد بعـد ذلك أن التوارق جاءوا بسلاحهم ، وجرب الـكثير منهم تسلق حائط البيت ولـكن نار بندقية علوى كانت ترجعهم إلى أمـكنتهم . ولم يكن عنـده سوى خمسين رصاصة وهى كل ما يملـكه فى حزامه الجلدى . ولمح شخصاً يقترب من البيت فعرف فيه صالحاً ، فنادى على فريد وأعطاه البندقية وأمره بإطلاق الرصاص بتؤدة بينما يذهب هو لفتح الباب لصالح الذى أخبره أن شكرى لم يعد (كان شكرى قد عزل عن رجاله وقتل فى اليوم التالى فى مكان يبعد ميلاً واحداً عن غات) وعلم كذلك أن مخيم العساكر قد هوجم ولم يترك به سوى جثث الحامية وشاويشها شاهدة عيان على تلك الحادثة .

واحتد الغضب بعلوى ، وصار يفـكر فى أهل بيته وفى مصيرهم أمام أولئك المتعطشين للدماء ، وآثر أن يقتلهم شر قتلة على أن يسلمهم أو يسلم نفسه . وسمع آنذاك صوت هجوم ثقيل على بيته . عندها أقسم علوى بالأيمان المغلظة ومشى ببرود حيث كان مسدسه ، ونادى على نسائه وأولاده ، فحضرت زوجته الأولى

فرفع مسدسه وأطلق رصاصة على رأسها أردتها قتيلة . وحضرت زوجته الثانية التى كانت تضم صغيرها بين ذراعيها أثر سماعها صوت الرصاص وبسرعة أطلق عليها وعلى ولده الصغير النار فوقعا فاقدى الحياة على الأرض . ورأى على بُعد خطوات منه ابنتيه مع مربيتهما السوداء فلم يتوان وأطلق عليهما رصاصتين أفقدتهما الحياة،ومن ثم أخذ سيفه وضرب به تلك المربية ضربة كادت تطيح رأسها . وأدار وجهه على ضحاياه فقطع رأس كل من لم تكن الحياة قد فارقته ونظر صالح إلى تلك المذبحة وبقى واقفاً بالقرب من الباب . أما علوى فإنه قضى على نفسه بسيفه بعد أن أغمده فى أحشائه . ولم يكن جسمه قد فارقته الروح بعد ، عند ما كسر الباب وهجم لداخل البيت أولئك التوارق الذين وقفوا جامدين عند ما شاهدوا ذلك المنظر المؤلم . أما صالح فإنه هرب دون أن يشعر به أحد .

لنسدل الستار على تلك المأساة ونرجع لسرد وقائع ما تم بعد ذلك .

* * *

هنالك التباس بخصوص الوالى الذى جاء بعد راسم باشا ، وكلا المؤرخين « فرو » وبرنى « Bergni » قد أدرجا اسم كمال باشا بأنه هو الوالى الذى تنصب بعد راسم باشا ولكن الحقيقة هى أنه فى عام ١٨٩٨ تولى نامق باشا الحكم بعد راسم باشا كوالٍ عام على ليبيا وأن الالتباس قد ظهر حيث أن ابنة راسم باشا تزوجت من ضابط تركى كان حاكماً على مقاطعة طرابلس . ولقد أسس



تولى نامق باشا الحكم بعد راسم باشا

نامق باشا مدرسة الفنون والصنائع التى مازالت حتى يومنا هـذا . وكذلك أسس جريدة « الترقى » ولقـد جرب أن يدخل الخدمة العسكرية الإجبارية ولـكن الحالة لم تساعد على ذلك لحدوث عصيان كبير هوجمت به مدينة طرابلس. ولقد اجتث ذلك العصيان واستؤصل . وسجن رؤساء بعض القبائل على أيدى بحرى باشا الجرئ قائد حامية طرابلس . وفى مدة تولية نامق باشا ، ظهر أن ماء الشرب الذى جلب لطرابلس من « بومليانه » لم يعد كافيا لحاجة المدينـة لازدياد عدد سكانها ، وهكذا بدئ بإنشاء موارد أخرى للمياه كلفت الحـكومة مبلغ ٣٥٠٠٠ ليرة تركية . وجلبت المياه من « عين زارة » .

فى عام ١٨٩٨ أخـذت العلاقات تتحسن بين فرنسا وإيطاليا التى كانت قد ضعفت بسبب نيات إيطاليا نحـو تونس ، وازدادت تحسناً يوم أول ديسمبر سـنة ١٩٠٢ عند ما أبرمت معاهدة تُنظر بموجبها بعين العطف المصالح الخاصة التى لفرنسا بمراكش وكذلك تلك المصالح التى لإيطاليا فى ليبيا . . .

تعين هاشم بك « باشا فيما بعد » أثناء ذلك والياً خلفاً لنامق باشا . وكان هاشم باشا قد تزوج ابنـة السلطان عبد الحميد ، وكان عهده قصيراً ولم يكن النظام مستتباً بأيامه وكان هنالك خلاف بينه وبين النائب العام لطرابلس « راشد بك » الذى أُبعد لفزان . ولقد ازدادت الحالة سوءاً يوماً بعـد يوم . وهكذا جاء تعيين الوالى حافظ باشا خلفاً له عام ١٨٩٩ .

ولقد أمر حافظ باشا بتعداد نفوس السكان ذلك العمل الذى حسن تحصيل الضرائب ، وكذلك فإنه أقام طريقة جديدة لتسجيل الأراضى . وجاء بعده لطرابلس حسن حسونى باشا عام ١٩٠٣ وكان معتل الصحة وما لبث أن توفى عام ١٩٠٦ فى طريقه الى مالطا عند ما ذهب لإجراء عملية جراحية هناك .

تولى الحكم من بعده الفريق رجب باشا الذى أُرسل خصيصًا لمعالجة وتحسين الحالة العسكرية فى ليبيا وتحسنت الحالة ، واستتب الأمن وانصرف كذلك الى تجميل العاصمة فأنشأ سوق المشير المشهور ، وأنشأ المدرسة العليه والمدارس الابتدائية .

بدأت إيطاليا فى ذلك الوقت تتدخل شيئاً فشيئاً بسياستها فى شؤون طرابلس وازداد ذلك التدخل عام ١٩٠٨ عند ما تسلمت أزمة الحكم « جماعة الشباب التركى » ولقد نُظر لتلك الجمعية بغير عين الرضا . وكان أهالى ليبيه يبغضونهم لتداخلهم فى مسائل الدين والعادات .

واستدعى رجب باشا أثناء ذلك لاستامبول حيث عين وزيراً للحربية هناك . وعين قبل سفره بكير بك كنائب عنه .

وتعين بعد ذلك بكير بك نائب وال على منطقة الجبل ولم يكن محبوباً من الأهالى، وهذا ماحدى بحسونة باشا القرهمانلى أن يقدم اعتراضاً على تعيين بكير بك وكان ذلك نتيجة لاجتماع حسونه باشا مع أعيان ليبيا . وأرسل ذلك الاعتراض لاستامبول ، ولم يُطلب آنذاك رفت بكير بك وحده بل كذلك كل موظف تركى كان بجانب جمعية الشباب التركى . ووافقت استامبول على ذلك



... كان حافظ باشا ألبانياً ...



الفريق رجب باشا الذى أرسل خصيصاً لمعالجة وتحسين الحالة العسكرية فى ليبيا . . .

الاعتراض وكانت نتيجته أن عُين احمد فوزى باشا والياً عاماً سـنة ١٩٠٩ .
وكان أول ما قام به أن دشّن بيتاً كان يضم جميع نواب الشعب فى ليبيا وهدم
قسماً من سور مدينة طرابلس من الجهة الغربية بقصد توسيع المدينة .

وفى نهاية ١٩٠٩ عين ابراهيم باشا خلفاً لفوزى باشا وكانت سياسة إبراهيم
باشا هذا ضد الإيطاليين على خط مستقيم ولم يكن يتوانى فى إظهار حقده
عليهم أينما وجدوا . وساءت الحالة مع إيطاليا وسافر إبراهيم باشا لاستامبول
ليتصل بذوى الأمر هناك تاركا وراءه سكرتيره العام احمد راسم باشا ليقوم بمنصبه
ولقد أمّل إبراهيم باشا أن يرجع بنجدات لتقوية حامية البلاد ولـكن الحوادث
كانت تسير بسرعة .

أعلنت إيطاليا الحرب يوم ٢٩ سبتمبر عام ١٩١١ وفى اليوم الثالث من
شهر اكتوبر من السنة ذاتها ، ألقيت أول قنبلة على الميناء بطرابلس من البارجة
الحربية الإيطالية بنديتو برين « Benedetto Brin » وبعدها بيومين كانت
طرابلس والسوانى المحيطة بها قد احتلتها الجنود الإيطالية[١] . وكان أول من
عُين من ولاة الإيطاليين نائب الأميرال بورياريتشى « Borearicci » ومن
بعده الجنرال كانيفا «General Caneva» . وعين حسونة باشا أثناء ذلك
رئيساً لبلدية طرابلس .

---

(١) ويا له من احتلال ...

الفَصلُ الخامِسُ

الحالة الشخصية للسكان

العرب واليهود

كى نعطى صورة أوضح عن حالة سكان ليبيا ، فى المدة التى يبحث فيها هذا الكتاب ، نَصِفُ هنا وفى الفصل الذى يلى هذا بعضاً من عاداتهم وقوانينهم ، تلك العادات والأخلاق التى كانت تفرق بين السكان والتى كان الأتراك مرة يحاربونها وطوراً يتمشّون عليها حسب أهواء سياستهم فى طرابلس .

كان الاحتفال بالزواج ومراسيمه يأتى فى الدرجة الأولى بما يختص بالحالة الشخصية عند السكان العرب . وإن القوانين الشرعية الإسلامية تعتبر عدم تعدد الزوجات أعلى درجات الزواج ، ولكن تلك القوانين لم تحرم الشخص من حق التزوج بأكثر من امرأة واحدة ، ولم تسمح له بأن يكون فى ذمته أكثر من أربع نساء فى آن واحد بشرط أن يعاملهن بالتساوى والعدل . ويُعتبر الزواج « كمعاملة شراء[1] » أكثر من اعتباره جعل تلك المرأة زوجة بالمعنى الصحيح . وكلا الطرفين أو من ينوب عنهما يخبرون الإمام أو المختار فى منطقتهم بالزواج المنوى عقده وعن قيمة المهر الذى وافق الزوج على دفعه

---

(١) على حد تعبير المؤلف ...

ثم يعقد القاضى العقد . ولقد حـــدد الشرع عدم الزواج بأقرباء معينين . وللزوجة الحق إذا كان المهر لم يعين عند عقد الزواج أن تطلب تحديده حسب العادات . وللزوج الحق فى إبطال أو فسخ الزواج إذا أجبرته الظروف على ذلك كما أن له الحق فى الطلاق . وان كثرة الطلاق والزواج أوجـدت الضرورة لسن تشريع يحدّد شرعية الأولاد وحضانتهم . ويعتبر الطفل شرعياً إذا ولد بعد ستة أشهر من تاريخ الزواج ، أما إذا ولد قبل ذلك التاريخ فللأب الحق فى أن يعتبره شرعياً أو عكس ذلك[١] .

وحسب المذهب المالـكى أن المطلقة أو الأرملة التى لم تتزوج وولدت بعد مضى أربع[٢] سنوات بعـد طلاقها أو موت زوجها فإن ذلك الطفل له جميع الحقوق والميراث ويعتبر طفلاً شرعياً للشخص الذى طلق أو الذى توفى .

ويعتبر الأب هو الحاضن لطفله حسب قوانين الشرع الإسلامية . وإذا كان المولود ذكراً ، يبقى فى عهدة والده حتى يبلغ سن الرشد والطفلة إلى أن تتزوج . وإذا كان الأب غير قادر على ذلك لفاقته ، فإن تلك المسؤولية تقع على عاتق الأم[٣] وإذا كانت الأم غير قادرة على ذلك فإن الإدعاء يقع على :

(١) جدهم لوالدهم .

(٢) جدهم لوالدتهم .

---

(١) المعروف فى الفقه الإسلامى أن المولود قبل ستة أشهر لا يجوز للرجل إلحاقه به

(٢) حدد المذهب الأباضى تلك المدة بسنتين فقط .

(٣) لا يجبر الشرع لا الأم ولا الأقربين على وجوب تربية الأطفال المذكورين.

(٣) عمهم أو أعمامهم

(٤) خالاتهم أو عماتهم .

يبقى الأولاد حتى سن السابعة والبنات حتى سن الرشد تحت نظارة والدتهم وإذا ماتت الوالدة أو كانت غائبة يكونون تحت نظارة أقرب أقربائهم من النساء ومن ثم تكون تلك النظارة للوالد الذى يحق له أن يعين وصياً فى حالة غيابه . وإذا ما مات ذلك الوصى فإن حق المراقبة يكون لجد الأولاد أو لأى قريب حتى للأولاد من جهة والديهم . وإذا لم يكن هناك من يقوم بذلك عندئذ يكون حق المراقبة للقاضى .

أما شرعية الإرث فإنها تنص على أن مخلفات المتوفى يرثها الأشخاص الأقربون له بالدم . ولم يستثن الشرع النساء من ذلك الإرث « ولكن للذكر مثل حظ الأنثيين » ولا يحق للمورث أن يوصى بأكثر من ثلث تركته لغير ورثته ويمكن للموصى أيضاً أن يوصى بثلث ذلك الإرث لشخص هو من ورثته على شرط أن يوافق باقى الورثة على ذلك .

أما الحالات الشخصية عند اليهود فإنها تختلف فى نواحٍ عدة عن عادات المسلمين . فعند ما يبلغ الذكر الثالثة عشرة والأنثى الثانية عشرة تجب عليهم إطاعة أوامر دينهم وشريعتهم . ويعتبر الطفل شرعيا عند ما يولد بغض النظر عن الوقت الذى ولد فيه بعد أن يكون الزواج قد عقد . ولقد حددت المدة بعد فسخ الزواج - لأن يكون الطفل شرعيا - بمضى ثلاثمئة يوم من تاريخ ذلك الفسخ .



... ومن ثم يعقد القاضى العقد ...

إن عدم الزواج يعتبر كالعار خصوصا بين الرجال . ولا يجوز زواج الذكر قبل سن الثالثة عشرة والأنثى قبل الثانية عشرة . وليست هنالك موانع شرعية من أن تدفع العروس المهر أو من تُعلن الزواج . وإذا توفى شخص وكانت له امرأة لم تنجب أحدا فليس من حسن الأخلاق أن يتركها أخو ذلك الشخص المتوفى دون أن يتزوجها ، وعليه أن يفعل ذلك كى يحفظ الذرية فى العائلة . وأنه من المحرم تعدد الزوجات . وأن الوالد هو الوصى الشرعى على أولاده قبل بلوغهم سن الرشد . وإذا توفى شخص ما ، فإن امرأته تكون الوصية إذا كان ذلك الشخص قد أوصى بذلك ، وإذا لم يفعل فإن تلك الوصاية تنتقل إلى أقرباء المتوفى من الذكور حسب ما تأمر به محكمة الرّبّى[1] . وإنه لمن المعلوم أن سلطة الأب تجاه أولاده غير محدودة . ولكن العادة جرت أن لا يسىء ذلك الوالد تلك السلطة .

يمكن للزوجة أن تطلب من محكمة الرّبّى الانفصال عن زوجها إذا كان هناك اختلاف بين أخلاق الزوج وامرأته . وكذلك يحق للزوج أن يهجر امرأته بشرط أن يقدم أسباباً معقولة لذلك وشرعاً يجبر على طلاق زوجته فى الحالات المخلّة بالشرف .

وحسب نصوص القانون الدينى اليهودى يحق للشخص « قبل وفاته » أن يوصى بتركته إما كتابة أو شفاهة بين يدى شهود إلا إذا كان قسم من

---

(١) هى محكمة اليهود الدينية

تلك الأموال ترك لأولاده أو أقربائه . ويكون الورثة ترتيبهم كما هو آت :

الولد أو الأولاد الشرعيون

الولد أو الأولاد غير الشرعيين(١)

البنات الشرعيات

الأحفاد الشرعيون

الأب

الأم

الأخ أو الإخوة

الأخت أو الأخوات

---

(١) من أول يوليو سنة ١٩٢٧ حدد حق الإرث من قبل قانون العقوبات الايطالى الذى اعتبر الأولاد غير الشرعيين من يهود ليبيا ليسوا ذوى حق فى الإرث .

الفَصِلُ السَّادِسُ

عادات السكان

إن أهم ما يلفت النظر بمشاهد حياة سكان ليبيا ، من العرب واليهود ، هى تلك المناظر التى تتصل بالحوادث المهمة فى حياتهم الخاصـــة وهكذا نراها سهلة المعرفة .

يقام الزواج كما هى العادة فى أى مكان آخر باحتفال وابتهاج ، وفى ليبيا ذهب القوم فى تفسير الحديث الشريف : «أشهروا الزواج واخفوا الختان فإن زواج الخفاء متعة » إلى حد بعيد . وإن رونق الاحتفال وما يتبعه يعتمد على حالة العائلة التى يخصها الأمر . ومع أن احتفالات الزواج عند العرب تختلف فى اختلاف أمكنتها إلا أن المظهر العام لايتغير . وكقانون عام فإن العروسين قبل الزواج لا يعرف أحدهما الآخر ولا يمكن معرفته أو معرفتها بأية حال .

تبقى احتفالات الزواج مستمرة مدة خمسة أيام تبتدىء بيوم الاثنين عند ما تكون جميع المراسيم قد أُعدت وحُدّدت قيمة المهر . عندها يرسل العريس لعروسه هداياه التى فى الغالب تتألف من الملابس الثمينة ومن المصاغ والموبيليا والحلويات وتُحمل كلها وتمر عبر الشوارع فى مهرجان إلى بيت العروس .

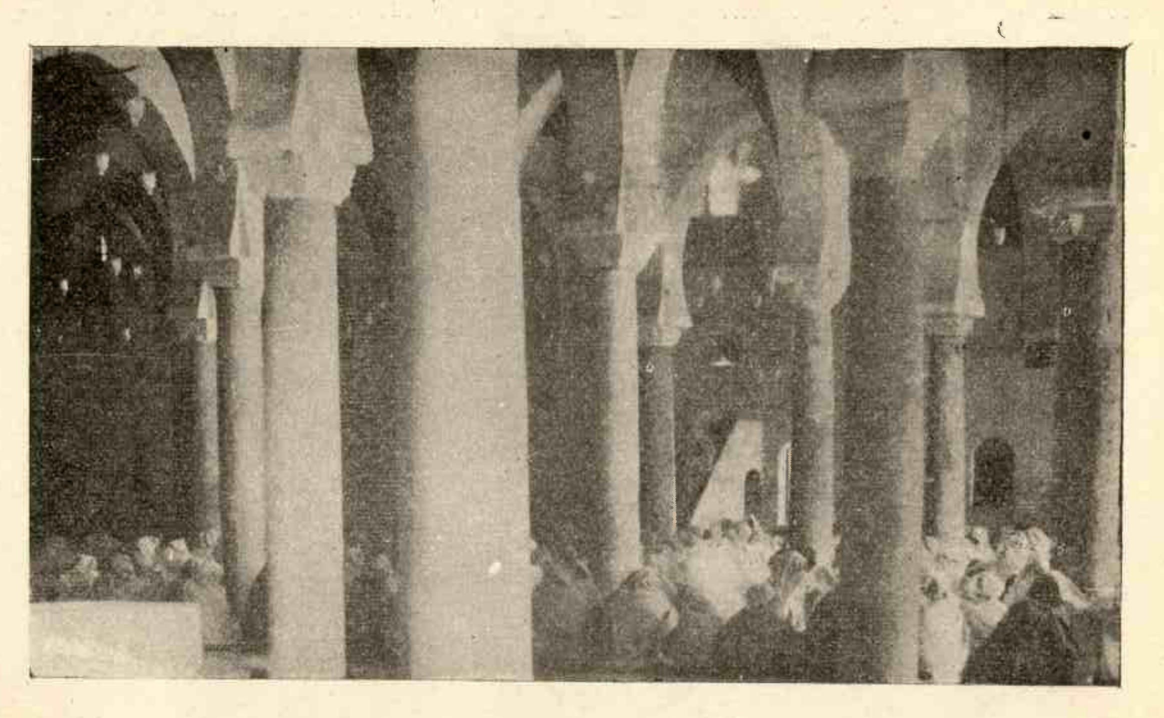
وفى نفس الوقت يحضر أصدقاء الطرفين لتقديم تهانيهم . ويسمح للنساء منهن بزيارة العروس .

وفى اليوم الثانى « ليلة الكسوة » تلبس العروس ثيابها ولكنها لا تغادر البيت حيث تستقبل وتتقبل تهانى صديقاتها . وفى يوم الأربعاء وهو يوم « الحنة الصغيرة » تقوم بذلك العمل « الزيانة » . وفى خارج البيت فى الشوارع ، تقوم الصديقات بإلقاء أغانيهن ومن حولهن « الزمزمات » اللاتى يتبعن أغانيهن « بالزغاريت » .

وفى يوم الخميس تستمر عملية التجميل والاستحمام ومن ثم تتبع « الحنة الكبيرة » التى تحنى بها أيدى وأرجل العروس ومن ثم تؤخذ لبيت زوجها فى يوم الجمعة داخل عربة محكمة الإغلاق يرافقها أقرباؤها وصديقاتها وبعض الموسيقين يضربون على آلاتهم فى عربة تتبع عربة العروس .

وفى داخل ليبيا كانت العروس تجلب فوق هودج مقفل وكانت تؤخذ كل الاحتياطات كى تبقى العروس غير مرئية .

يكون آنذاك العريس يصلّى فى الجامع ويكون من المتعذر عليه الترحيب بقدوم عروسته. وبعد الصلاة يرجع للبيت مصحوباً بأصدقائه وبعض الموسيقين. وكان عند ما يتخطى عتبة بيته يلقى أحد أصدقائه « قُلّة » مملوءة بالماء بين رجليه . وكان يُنظر لهذه العملية كفأل حسن . وكانت القُلّة تعنى أن الرجل هو رئيس البيت وصاحب الأمر والنهى فيه ، والماء معناه الأمانة والإخلاص. ومن ثم يجتمع العريس بعروسه ويكون هذا الاجتماع غير طويل ومختصر .



... يكون آنذاك العريس يصلى فى الجامع ...



... وتدعي البنات الراقصات ...

ومن ثم يذهب العريس للاحتفال بأصدقائه وتقديم ما يلزم لهم من الموائد . أما العروس وصديقاتها فتقام ولائمهن فيما بعد . وفى اليوم الثانى تستمر الاحتفالات حسب ثراء العروسين، ويقوم الموسيقيون بدورهم وتدعى الراقصات للرقص أمام الرجال .

ولمدة العشرة أيام الأولى عند ما تكون الزوجة فى بيتها الجديد ، فإن عريسها لا يزورها إلا بالليل وبالخفية ويترك البيت مع الفجر وبعد ذلك تسير الحياة الزوجية كالمعتاد .

أما عادات الاحتفالات بين القبائل البدوية أو النصف بدوية فى المناطق الداخلية فى ليبيا فإن تقاليد الزواج باقية نسبياً حيث تدخلها بعض عمليات عنيفة حيث تُخطف المرأة بعملية تقليدية يقوم بها الرجل عند ماتهرب العروس ويتبعها العريس ويقبض عليها مع أصدقائه[1] . وتقام أثناء حفلات الزواج هناك ألعاب الفروسية وإطلاق النار فى الهواء .

أما اليهود باستثناء بعض الذوات من الطبقات الأوروبية فقد اعتادوا القيام بحفلات الزواج إما عن طريق الأقرباء أو عن طريق رؤساء العائلتين ذات الاختصاص ويقوم أساس الحفلة على البحث بخصوص المهر وعن حالة

---

(١) كانت تلك العادات ... ولكننا اليوم لا نرى إلا القليل منها فى أيامنا هذه . ولعمرى إن الشباب المثقف فى ليبيا شعر بضارها فأخذ معوله وابتدأ بهدمها . وإن ماسمعت ورأيت بأم عينى هنا لكفيل بإبطال هذه العادات ، إذا أفسح الرجعيون الطريق ...
(المعرب)

العريس المالية . ويقدَّم المهر عادة من قبـل عائلة العروس ويحتوى على ملابس العروس وحزام من الفضة وأساور من الذهب أو الفضة وبعض الخواتم .

وعنـد ما تتم الترتيبات الأولية ، يقوم العريس الذى كان قد أحيط علماً بخطيبته بزيارة لها فى أحد الأعياد وفى بعض الأحيان يرسل لها هدايا العرس . ومن ثم تجرى عملية التجميل المعتادة من طلاء الوجه والشفاه ووضع الـكحل على رموش العينين والحواجب وكذلك تطلى أصابعها وأظافرها بالحناء . وإن كل هذا يكون قد سبقته عملية غسل الجسم تساعد العروس به بعض العذارى.

وفى يوم العرس، يجلس العروسان والرّبّى تحت مظلة يقابلهم أهل العروسين والمدعوون من الأصدقاء . ويقرأ نص عقـد الزواج محدداً المهر . ويقوم الرّبّى الذى يبارك العروسين ويقدم كأساً واحداً من النبيذ للعريس الذى يشرب منه ويعطى ما تبقى للعروس ومن ثم يكسر ذلك الـكأس وبذا تتم مراسيم الزواج وتنتهى .

وفى الأيام التى تتبع ماسبق ، هنالك عادات تُتَّبَـعُ وهى تقليدية ، والشائع منها تلك العادة التى يأخذ فيها الزوجان طعاماً خاصاً .

* * *

كانت وفاة الأشخاص ودفنهم هى مناسبات لمظاهرات صاخبة ذات عويل وصراخ من قبـل العرب واليهود على حد سواء . وكان الأخيرون ـ فضلاً عن عويلهم وبكاءهم وولوتهم العلنية ـ يطلقون شعرهم ولحاهم تطول إلى وقت يختلف باختلاف درجة قرابة الباكى الحزين للمتوفى .

ولم تكن هناك عادات خاصة تستعمل فى جنازات اليهود ودفن موتاهم ، عدا غسل جسم الميت وإزالة شعره قبل وضعه فى الكفن ، ثم تسير الجنازة إلى المقبرة وهناك يرفع الميت من الحمالة ويوضع فى القبر بكفنه . وفى أثناء سير الجنازة يحمل يهوديان معتبران قطعة من القماش التقليدى الأسود المرقط يرمى عليها بعض أقرباء أو أصدقاء المتوفى ، وحتى بعض المارة من اليهود ماتجود به أنفسهم وتجمع كل تلك الدراهم وتعطى لعائلة المتوفى إذا كان فقيراً ، أو تحفظ بعد جمعها وترسل إلى الجمعية اليهودية.

أما عادات العرب فكانت تختلف كثيراً عن عادات اليهود . وفى الحقيقة فإن العويل والصراخ يُبتدأ به عند ما يكون الشخص يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وعند ما ينقطع الرجاء فى حياة ذلك الشخص تذهب النساء لعتبة البيت ويبدأن بصراخهن وعويلهن وتأتى النساء المجاورات عند سماع ذلك العويل والصراخ . ويوضع الشخص المتوفى فى وسط الدار أو فى وسط غرفة كبيرة ومن حوله تلتف النساء ويبدأن بندب الميت بأصوات تصم الآذان . ويقوم نسوة أخريات بحركات من قيام وقعود وانفتال والتواء حول الميت ، بينما البعض الآخر منهن يستمر فى الصراخ والعويل ورثاء الميت بسرد أعماله الطيبة فى حياته ، ويعمد البعض الآخر منهن لشق الجيوب ، وتقطيع الشعر ، ولطم الخدود بصورة تسيل بها دماؤهن من وجوههن ، وإذا حضرت امرأة من الخارج يزداد العويل ويتضاعف ومن ثم يخفت ذلك العويل والصراخ

حيث تكون النسوة قد تعبن .

ويكفن الميت بعد غسله ويغطى بجرده ويوضع على محفة خشبية غير ذات غطاء ومن ثم يحمل الميت على الأكتاف بالتناوب تلك السنّة المتبعة من عهد الرسول « صلى الله عليه وسلم » حيث قال « من حمل ميتا ولو أربعين خطوة غفر الله له خطيئة من خطاياه . » وتسير الجنازة على هذا النحو بين التهليل والتكبير . وعلى بعدٍ من الجنازة تسير النساء والأطفال الذين لا يسمح لهن بمرافقة الجنازة عن قرب . ويصلى على الميت « صلاة الجنازة » ثم يحمل الميت للقبر . وفى المقبرة تقرأ « الشدة » ويرفع الميت من المحفة ويرفع عنه جرده ويوضع بكفنه فى القبر .

* * *

منذ فجر التاريخ ، كانت الأجناس البشرية التى عاشت على وجه البسيطة تعتقد اعتقاداً جازماً بتسلط روح الشيطان الخفية على نفوذهم وكذلك كانوا يعتقدون اعتقاداً كبيراً بالخرافات والحجب والتعاويذ .

كان العرب واليهود فى ليبيا[١] وما زالوا يعتقدون اعتقاداً أعمى بالحجب التى يضعونها على أذرعهم أو الأطراف الأخرى من الجسم ، أو فى أعلى لباس رأسهم ؛ أو فى أطراف أرديتهم ، أو يربطونها على أجسامهم حيث يعتقدون أن ربطها فى ذلك المكان يكون ذا أثر أكبر .

---

(١) ليس هم فقط ولكن معظم سكان البسيطة كذلك ، وعلم ذلك عند « الفقيه » الذى يجلس فى باب الحرية بطرابلس ومعظم عملائه من الأوروبيين .



ويبدأن بندب الميت بأصوات تصم الآذان ...

ويمكن أن نقول إنه من الصعب بل ومن المستحيل عمل لائحة ضمن هذا الكتاب بجميع أو بمعظم الأدوات التى يستعملها الناس للحجب ووصف قوة تأثير كل منها . فمنها اللؤلؤ والخرز والصدف والأزرار وقطع الزجاج والمعادن من أشكال مختلفة ، ثم القرون اللطيفة الشكل ، والأسنان والمسامير ، وحتى روث الحيوان الذى يحفظ داخل قطع من القماش ، وعظام السمك ، وبعض الأوراق التى يكتبها عادة « الفقيه » أو بعض الكتابات الأخرى التى كانت تؤخذ عن مخطوطات قديمة ، أو بعض الحجارة أو أشياء أخرى صغيرة الحجم يلتقطها الحجاج أثناء وجودهم بالحجاز . ولا ننسى حدوة الحصان المنتشر استعمالها فى العالم أجمع . وكان يستعمل جميع ماذكر كما أسلفنا كحجب وطلاسم لتقوية الجسم أو الحصانة ضد السحر أو العين الخبيثة أو للحفظ من الحيوانات المفترسة والعقارب والأفاعى ، أو لطرد روح الشياطين من الجسم أو . . . (وعلينا[١] نحن الشرقيين والمسلمين بوجه خاص أن نرجع دائماً إلى دستورنا الدينى حيث قال تعالى فى كتابه العزيز : « قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلّا مَا كَتَبَ ٱللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى ٱللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ . »)[٢] .

(١) المغرب (٢) سورة التوبة الآية (٥١)

الفَصْلُ السَّابِعُ

نظام الإدارة

كانت سياسة إدارة الولايات التركية أيام استيلائها الثانى على ليبيا موضوع بحث طويل . ولقد أجمع معظم الكتّاب على أنه أثناء تلك المدة قد شعرت تركيا وعلمت أن الجهات الأوروبية تنظر إلى سيطرتها على قطرى طرابلس وبرقة بغير عين الرضا ، وهكذا عملت تركيا جهدها ليس لتقيم حكما منظماً فقط ، بل حسّنت طريقة ذلك الحكم المحلّى تدريجياً من الوجهة الاقتصادية . ويظهر لنا ذلك أثناء تولية الحكم فى عهد كل من أحمد عزت باشا ورضا باشا ، وراسم باشا ، ونامق باشا ، ورجب باشا .

من عام ١٨٣٥ ـ ١٨٤٣ كان عند السلطات التركية المحلية الكثير من العمل وعلى الأخص القيام بحفظ الأمن والتغلب على الثورات ، وهذا أكثر ما كان يشغلهم . ولأسباب اضطرارية فإن النظام الذى كان متبعاً أيام الحكومة القرهمانلية قد أبقى على ما هو عليه ، وبهذا كانت ليبيا منقسمة إلى ثلاث مقاطعات ، كل مقاطعة كان يحكمها أحد أفراد الأسرة القرهمانلية مع حفظ كراسيهم فى مقاطعات طرابلس ومصراته وبنغازى . وكانت هذه المقاطعات مقسمة إلى أقضية ، وعلى رأس كل قضاء قائد منوطة به كل الصلاحيات ماعدا

القضاء فلقد كان منوطاً بالقضاة الذين كانوا يحكمون حسب شريعة القرآن .

وفى عام ١٨٦٩ أنشئت المحاكم المدنية والجزائية ، وسنبحث ذلك مفصلاً فى الفصل التاسع من هذا الكتاب .

كانت ليبيا مقسمة عام ١٨٤٣ من الوجهة الإدارية إلى قسمين : الأول « ولاية طرابلس » والثانى « متصرفية بنغازى » وكانت الأخيرة تدار رأساً من قبل حكومة استامبول ما عدا المسائل العسكرية والبريد والجمارك والعدلية. تلك الدوائر التى كانت تخضع للسلطات العليا بطرابلس الغرب . وكان حكام طرابلس وبرقة يحملون لقب وال ومتصرف، ويأتى اللقب الأخير بالدرجة الثانية بعد لقب وال . وكان يساعد الوالى مجلس استشارى يدعى « بمجلس الإدارة » الذى كان عادة يتألف من قاضى القضاة والمفتى و «المكتبجى» السكرتير العام و « الدفتردار » رئيس المالية ، وستة أعضاء آخرون لا تصرف لهم ماهيات ، ينتخبهم الشعب مرة فى كل عامين . وكان مجلس الإدارة يدير المسائل الاقتصادية والقضاء ومسائل أخرى معينة .

كانت ولاية طرابلس مقسمة إلى أربع متصرفيات أو « سناجق » وهى طرابلس ، والخمس ، والجبل الغربى مركزه « يفرن » وفزان ومركزه فى « مرزوق » . وكانت كل متصرفية تنقسم إلى نواح ، وكان رئيس المتصرفية يسمى متصرفا ورئيس القائمقامية يسمى قائمقاما ، ورئيس الناحية يسمى مديرا

وكانت متصرفية طرابلس تشمل القائمقاميات الآتية : ـ

طرابلس، الزاوية ، العجيلات، زوارة ، ترهونة ، اورفلة، وغريان. وكانت

تشمل كذلك النواحى الآتية : جنزور ، يفرن[1] ، وقصر الهانى ، وتاجوراء ، وساحل الرقيعات، والمنشية ، والعلاونة ، والفج ، والشمك والمردوم . وكان تعدادالسكان فى هذه المتصرفية ٢٧٥٫٠٠٠ نسمة على وجه التقريب .

وكانت متصرفية الخمس تشمل قائمقامية الخمس،ومسلاّتةومركزها «القصبات» وزليطن ، ومصراته ، وسرت . وتشتمل على ناحية تاورغا . وعدد السكان فى هذه المتصرفية ١٣٠٫٠٠٠ نسمة .

أما متصرفية الجبل الغربى فكانت تشمل القائمقيات الآتية . يفرن ، فساطو ، الهود ، الجوش ، نالوت ، وغدامس وعلى ناحية الأصابعة، والزنتان، وككلا ومزرة . وكان تعداد السكان ١٠٠٫٠٠٠ نسمة .

ومتصرفية فزان التى كان مركزها مرزوق كانت تشتمل على الشياتة ، وسُوكنة وغات ، ونواحى سَبْها ، وحفرة الشرق ، ووادى الغرب ، ووادى عتبة ، ووادى زِلّة ، والقطرون ، وهون ، وغُدوة ، وودان . وكان عدد سكان تلك المتصرفية ٧٠٫٠٠٠ نسمة . وهكذا نرى أن عدد سكان ولاية طرابلس كان ٥٧٥٫٠٠٠ نسمة تقريباً .

أما قائمقامية بنغازى فكانت تشمل النواحى الآتية : سلُوق ، قمينس ، واجدابية ، وتوكرا ، وبرسيس ، وعبيب ، وسيرا ، وسلنط .

وكانت قائمقامية مجاب تشمل النواحى الآتية : قورينا ، وشحات ، والقبة .

وكانت ناحية مرسى البردية تأتى تحت قائمقامية طبرق . وكانت نواحى قبائل الزويّة والمغاربة تحت قائمقامية جالو . وكان عدد سكان متصرفية بنغازى يقارب ٢٣٠٫٠٠٠ نسمة .

---

(١) هذا الاسم غير معروف فى هذه المنطقة . المصحح .

الفَصلُ الثامِن

السياسة الاقتصادية

خلافاً لمـــا كان يُظن فقد كانت الحكومة التركية خلال استيلائها الثانى على ليبيا ، لا تسدّد ما تصرفه على الإدارة المدنية والعسكرية فحسب ، بل كانت ترسل فى كل عام للباب العالى مبالغ لا يستهان بها من المال الذى كان فائضاً من الضرائب المحلية . وكان الدخل الحكومى لولاية طرابلس ومتصرفية بنغازى محصوراً فى ثلاثة أبواب وهى : -

١ — الضرائب المتحصلة من القطرين « طرابلس وبرقة » التى كانت تصرف على الإدارة .

٢ — الضرائب التى كانت تحصل بالنيابة عن الحكومة العثمانية والتى كانت ترسل رأساً لها .

٣ — الضرائب التى كانت تجمع من المؤسسات المستقلة غير دوائر الحكومة .

١ — وكانت الضرائب الآتية تأتى تحت الباب الأول :

ضريبة الويركو وهى الضرائب السنوية المشتملة على ما يأتى :

الضريبة الشخصية : ومقدارها ٤٠ غرشاً على كل ذكر بالغ .

ضريبة الحيوانات : ومقدارها ٤٠ قرشاً على كل جمل ، و ٢٠ قرشاً على كل ثور أو بقرة ، وأربعة قروش على كل رأس غنم من الضأن ، وقرشان على كل رأس من الماعز.

ضريبة الأشجار : ومقدارها قرشان ونصف تدفع سنوياً عن كل نخلة أو زيتونة . أما باقى الأشجار فكانت مُعفاة من الضرائب .

ضريبة الآبار : مقدارها ٢٥ قرشاً تدفع على كل بئر خاص يستعمل للرى أو للسقى .

وفى عام ١٩٠٣ استبدل نظام « الويركو » بضريبة « التيمّو » ولكن النظام الأخير لم ينفّذ فى مناطق عدة بالدواخل حيث كان « الويركو » يدفع هناك حتى احتلال إيطاليا .

ضريبة المنتجات الزراعية : كانت هذه الضريبة تختلف حسب موسم الحصاد وعلينا أن نعرف الحقيقة الواقعة وهى أن تلك الحاصلات لم تكن لتزيد على أربعة أعشار من المحصول الجيد . وأن الضريبة التى كانت مرجوّة من ذلك لم تكن بالقدر المستدرك لها بالخزانة .

وكانت الضرائب على الحبوب تجبى من نوع المحصول ، وأما عن الشجر فكانت تدفع نقداً بمعدل نصف مجيدى عن كل قنطار . وفى عام ١٩١٠ زيدت تلك الضريبة حتى بلغت أربعة مجيديات .

وكانت الضرائب تجبى أيضاً عن نبات الحلفا بعد المناقصة بين المتعهدين .

وحيث أن تلك الضريبة لم تكن لتزيد على المستوى الذى كانت تحدده الحكومة فان الإدارة نفسها كانت تدفع تلك الضريبة بمعدل ٥٠ بارة عن كل قنطار.

ضريبة الإعفاء من الخدمة العسكرية

كان الأهالى المسلمون هم الذين يستطيعون الانخراط فى الجندية . أما غير المسلمين فكان لزاماً عليهم دفع ضريبة تعرف آنذاك بضريبة « بدل العسكرية » وكان اليهود يدفعون هذه الضريبة بواسطة جميتهم . ولقد احتجّوا مرة على تلك الضريبة ولكن حيث كانت ضئيلة وغير فاحشة « ٣٠ قرشاً على كل شخص يستطيع حمل السلاح » فقد كانت تدفع حسب الترتيب واللزوم .

وفى عام ١٩٠٨ وبحلول « الشباب التركى » جعلت الخدمة العسكرية إجبارية فى ليبيا ، ولقد أدى ذلك إلى مناهضة أهل البلاد لتلك القوانين وعلى الأخص فى متصرفية بنغازى حيث قام عدد كبير من السنوسية بمشاغبات ضد الدولة إلى أن أجرى اتفاق بذلك الخصوص فى سيدى رافع عام ١٩١٠ حضره جميع رؤساء قبائل الزويّة وأعيان قبائل الدرسا والبراعصة والحاسة والعرفة والعبيد .

ضريبة ختم المجوهرات وفحصها

كانت هذه الضريبة بمعدل ١٦ بارة على كل أوقية[1] من الفضة و ١٦ بارة

---

(١) انظر الملحق المختص بالعملة والأوراق المالية .

على كل مثقال من الذهب : وكانت الضريبة على تعريف وزن هذه المعادن هى ٨ بارات على كل أوقية من الفضة أو مثقال من الذهب وكان الذى يقوم بهذه العملية يدعى « الأمين » .

ضريبة تسجيل بيع الأموال

كانت معاملات انتقال ملكية الأموال تسجل من قبل القاضى حتى عام ١٩٠٣ إلى أن صدر أمر بوجوب نقل المعاملات إلى مسجل العقود العام وتسجيلها فى سجل المحاكم «دفتر الحقانية» وكانت فئة التحصيل هى ١٫٥٪ من ثمن الأموال الأصلى .

ضريبة العقارات

كانت هذه الضريبة تجبى من الأجانب على النحو الآتى :

على العقارات مثل البيوت والأراضى التى تؤجر، فكان يدفع ١٠٪ من الدخل على كل ٢٠٫٠٠٠ قرش و٥٪ إذا قدر ذلك الإيجار بأكثر من ٢٠،٠٠٠ فرنك .

ضريبة إضافية تدفع لصالح دائرة التعليم العامة مقدارها ٥ ٪ من الضريبة الأصلية .

ضريبة إضافية تدفع لمدير مخازن الجيش العام مقدارها ٦ ٪ من الضريبة الإضافية .

ضريبة إضافية أخرى مقدارها ١٠٪ من الضريبة الإضافية تدفع إلى دائرة تسجيل الأملاك .

ضريبة الدخل

كانت هذه الضريبة توضع على دخل أو أرباح التجار وأصحاب الحوانيت.
وكان الأجانب معفون من هذه الضريبة.

إيرادات مختلفة

وكانت هناك ضريبة تشمل استخراج اللاقبي مقدارها ١٢٠ قرشا على كل شجرة تقطع لذلك الخصوص، ولقد ارتفعت تلك الضريبة إلى ١٥٠ قرشا عام ١٩٠٠ وكان ذلك من أجل إعانة مدرسة الفنون والصنائع فى طرابلس.

وهناك ضريبة أخرى موضوعة على الصودا المستخرجة من جهات سوكنة ومرزوق بفزان. ولقد كان هذا المعدن يخلط فى «السعوط» وطباق المضغ.

وكانت إيجارات أملاك الدولة تجبى وتؤلف قسماً من الضريبة.

ضريبة الإعانات

لقد ارتفعت هذه الضريبة تدريجياً فى عام ١٨٩٧ من أجل إعانة تركيا فى حربها ضد اليونان، واعتمدت هذه الضريبة فيما بعد بكونها ضريبة دائمة.
أما ضريبة الويركو فكانت بمعدل ٦٪ على الأملاك.

٢ — لم يكن مجموع الضريبة المجباة تحت الصنف الأول من الضرائب فى يوم من الأيام يفى بمصاريف الدولة، ولكى تتعادل الميزانية كان قسم من الضرائب

من الصنف الثانى يحفظ فى استامبول لصلاحية الحكومة . وكانت ضريبة الصنف الثانى تجبى وترسل إلى استامبول وكانت تحتوى على ما يلى :

ضريبة الجمارك

كانت الضريبة على الاستيراد والتصدير بمعدل ٨٪ و ١٪ وكان مجموعها حوالى ٥٠،٠٠٠ ليرة تركية فى طرابلس وحوالى ١٥،٠٠٠ ليرة تركية فى بنغازى .

وكانت ضريبة الجمارك فى بعض الأحيان يقوم بالتزامها أشخاص خصوصيون ففى عام ١٨٤٨ مثلاً كان التزام الضريبة فى ليبيا بأجمعها ٩١،٥٠٠ ليرة تركية.

ضريبة الميناء

كان الدخل من هذه الضريبة قليلاً جداً حيث كان الكثير من السفن التابعة لجنسيات مختلفة معفاة من هذه الضريبة .

البريد والتلغراف

كان مجموع هذه الضريبة ما يقارب ٢٠،٠٠٠ ليرة تركية .

وبين عامى ١٩٠٩ و ١٩١٠ ، كان يرسل إلى استانبول مبلغ صاف يعادل ٩٠،٠٠٠ ليرة تركية من الضرائب المتحصلة تحت الباب الثانى بعد خصم مبلغ من المال يضاف إلى الضريبة المتحصلة من الباب الأول كى تقابل العجز فى المصروفات الإدارية « مثلاً جميع ما تكلفه مصاريف الإدارة من غير الضريبة المتحصلة تحت الصنف الأول » .

٣ — أما الصنف الثالث من الضرائب فكان يحصل بالنيابة عن الإدارات المعتبرة غير حكومية والتى لها علاقتها بالدين العثمانى العام. وهذه الإدارات هى: دائرة الصحة والكارنتينا « الحجر الصحى » وإدارة حصر الدخان والملح وكان لإدارة المنارات ممثلون من الدول الأوروبية وكانت تشتمل على ضبط ومراقبة تلك الإدارة.

وكانت الإيرادات بخصوص الدين العثمانى العام مكونة من ضريبة خاصة على الملح والحرير والطوابع وضريبة الكحول.

وكان مجموع دخل دائرتى الصحة والكارنتينا المتحصل من طرابلس وبنغازى يبلغ ٨٠٠٠ ليرة تركية.

وكان صافى دخل « مونوبول » الدخان حوالى ٣٢٬٠٠٠ ليرة تركية فى طرابلس. أما فى برقة فكان ١٥٬٠٠٠ ليرة تركية. أما الملح فكان دخله من برقة ٣٦٬٠٠٠ ليرة تركية أما فى طرابلس فكان صافى ذلك الدخل ٤٬٠٠٠ ليرة تركية.

وكانت إدارة المنارات معهود بها إلى هيأة فرنسية وكانت الرسوم هى عبارة عن مبلغ عشرين بارة عن كل طن من البواخر التى حمولتها من ٥ ـ ٨٠٠ طن.

وكان هنالك دخل آخر تحت الصنف الثالث تستفيد منه دائرة الأوقاف والحكومة وكان يستغل لتدعيم صرح الوقف من الوجهة الدينية والمسائل الخيرية الأخرى عند وفاة شخص تاركاً وراءه أموالاً غير منقولة، وكانت تجبى منها الضرائب. أما ما زاد على حصة الأوقاف حسب وصية المتوفى فكانت ترسل إلى استانبول.

أما الجهات التى كانت تصرف عليها الميزانية فهى كما يلى :

١ — معاشات الموظفين والرؤساء فى الإدارة المدنية .

٢ — معاشات رجال الجيش .

٣ — مصروفات محصلى الإيرادات .

٤ — المصروفات للمحافظة على بنايات الحكومة من التلف .

٥ — مصروفات دائرتى الصحة والتعليم العامة .

٦ — معاشات التقاعد ومسائل أخرى متعددة .

وكان ثلث معاشات الجيش يرسل من استانبول . وكانت جميع المصروفات المذكورة أعلاه تدفع من الصنف الأول من الإيرادات كما ذكر سابقاً . وكانت الميزانية دائماً فى عجز إلا فى عامى ١٨٩٤ و ١٩٠٣ عند ما كان الدخل فى طرابلس الغرب وحدها يزيد على المصرفات .

ولكى تتعادل الميزانية ، كانت تصرف بعض الإيرادات المتحصلة من القسم الثانى من الضرائب والإيرادات .

ونورد فيما يلى بعض الأحوال الخاصة بالميزانية فى طرابلس الغرب وحدها عام ١٩٠٨ .

الإيرادات	ليرة تركية
الصنف الأول	١٦٠٬٠٤٠
« الثانى	٠٣٩٬٥٢٠
« الثالث	٠٣٨٬٤٤٠
المجموع	٢٣٨٬٠٠٠

المصروفات	ليرة تركية
مصاريف الإدارة	١٦١٬٣٨٠
مصاريف جميع إيرادات الصنف الثانى	٦٬٢٧٠
« « « « الثالث	٥٬٧٥٠
المجموع	١٧٣٬٤٤٠

الفائض من الإيرادات ٦٤٬٥٦٠ ليرة تركية

وكان رصيد إيرادات برقة عن العام ذاته ٣١٬٥٦٠ ليرة تركية .

وبخصوص أرقام الإيرادات المذكورة فى هذا الفصل على المرء أن يتذكر أن العملة كان لها من قوة الشراء أكثر مما لها فى أيامنا هذه ، وعلى هذا الحساب علينا أن لا نقلّل من أهمية الأرقام المذكورة آنفاً ، وكذلك فإن حالة البلاد لم تكن متقدمة كثيراً على وجه العموم فى ذلك الوقت ، وإن الأجانب كانوا معفون من دفع ضرائب معينة ، وكذلك فإن السفن الأجنبية كانت معفاة من دفع ضريبة الموانئ ، زد على ذلك أن الاختلاس كان مألوفاً .

الفصل التاسع

النظام القضائى

لقد أدخل النظام القضائى إلى ليبيا بعد عام ١٨٣٥ ، وفى عام ١٨٦٩ كان هذا النظام قد بدئ العمل به رسميا . والحقيقة أن تطبيق النظام القضائى التركى فى جميع أنحاء ليبيا لم يكن إلا بالاسم فقط وكانت الحالة كذلك إلى آخر أيام حكمهم . ولم يستطع الأتراك العمل بذلك القانون رسمياً إلا فى السواحل والأماكن الغاصة بالسكان . أما بالدواخل فقد كان الناس يطبقون قوانينهم التقليدية ويفضون نزاعاتهم حسب عوائدهم . وكانوا يعارضون القوانين التركية التى كانت تفرض عليهم فرضاً فى بعض الأحيان وعلى الأخص كانوا يعارضون تلك القوانين التى تتعرض لعوائدهم وتخالف قوانينهم .

وكان النظام القضائى العثمانى ملخصاً حسب ما يلى :

عدا المحاكم الشرعية التى كانت تطبق الشرع والقوانين التركية كانت القوانين العدلية موزعة على المحاكم النظامية الآتية :

١ — محكمة الصلح .

٢ — المحكمة الابتدائية .

٣ — محكمة الجنايات .

٤ — محكمة الاستئناف .

٥ — محكمة التميز « وكان مركزها استامبول » .

كانت محكمة الصلح تنظر قضاياها فى القرى والنواحى . وكان محكموها من أعيان البلاد يعينهم الوالى. وكانوا يحكمون ويفصلون فى القضايا المدنية والحقوقية تلك القضايا التى لم يكن المبلغ المختلف عليه فيها يزيد على ١٥٠ قرشاً . أما فى القضايا الجزائية فكانت هذه المحكمة تفصل فيها وكان حكمها لا استئناف له حيث كانت الغرامة لا تتعدى ٢٥ قرشاً . أما فى القضايا التى كانت غراماتها تزيد على ماذكر أو تكون عقوبتها السجن فإن للمتهم فى ذلك الوقت الحق فى الاستئناف. وكانت استئنافات أحكام محكمة الصلح تنظرها وتفصل فيها المحكمة الابتدائية التى كانت أيضاً بدورها تنظر فى الدعاوى المدنية والحقوقية التى كانت فوق صلاحية محكمة الصلح .

وكانت محكمة الجنايات تنظر فى القضايا الجنائية الكبيرة وكانت استئنافات هذه المحكمة واستئنافات المحكمة الابتدائية تُنظر فى محكمة الاستئناف .

وكانت هنالك أيضاً « محكمة الإجراء » التى كان يرأسها رئيس المحكمة الابتدائية أو نائبه والتى كانت تنفذ أحكام الإجراء الصادرة من جميع المحاكم . وكانت تفصل فى الخلافات الناشئة من تلك الإجراءات .

وكان هناك محامى الحكومة أو ما كان يسمى آنذاك « مدعى العموم » الذى كان له مكتبه وموظفوه .

وكان جميع حكام الصلح ـ غير محكمي الصلح ـ والقضاة المتقلدون للمناصب العالية فى السلك القضائى يرسلون من تركيا .

أما المحاكم الشرعية فكانت تنظر فى مسائل الزواج ، والطلاق ، والنفقة ، وحضانة الأطفال ، وتقسيم وفصل الممتلكات ، وعلى وجه أعم فى جميع المسائل التى للشرع الإسلامى حق الفصل فيها . وكان لكل محكمة شرعية قاض وله نواب يدعون « نواب القاضى » وكان المفتى هو مستشار القاضى . وكان القضاة يعينون مرشدين من لدنهم لتعليم الدين وإرشاد العامة . وكان القضاة مستشارين لإدارة الأوقاف العامة .

وعلينا أن نذكر هنا أن مسألة « الامتيازات الأجنبية » كانت موجودة ومعمولاً بها فى طرابلس الغرب وبرقة وبموجبها كانت القضايا المدنية الحقوقية بين شخصين من جنسية واحدة تفصل فيها المحكمة القنصلية . أما القضايا التى كانت تقوم بين أشخاص أجانب من جنسيات مختلفة والقضايا الناشئة بين وطنى وأجنبى فكانت المحاكم العثمانية تنظر فيها وكان الأجانب يصحبون معهم تراجمة تزودهم بها قنصلياتهم .

وعدا ما ذكر من المحاكم كانت هناك « محكمة الربّى » وهى المحكمة التى كانت تنظر فى قضايا اليهود الخاصة أو قضايا اليهود الدينية .

الفصل العاشر

ملكية الأراضى

لقد شُرّع قانون ملكية الأراضى العثمانى فى يوم ٢١ إبريل سنة ١٨٥٨ وكان يتعلق بأنواع الأراضى الآتية :

أراضى الملك

أراضى الميرى .

الأراضى الموقوفة .

الأراضى المتروكة .

الأرض الموات .

أما الأراضى من الصنف الأول فهى تلك الأراضى الخاصة بالأفراد والتى كان يدفع مالكها ضريبة العشر وكان معظمها يقع خارج حدود المدن وأصلها من ممتلكات الدولة وبيعت لأفراد من السكان .

والأراضى الميرى هى التى تشمل الأراضى الزراعية التى تزرع صيفاً وشتاءً ومن ضمنها الغابات والأراضى الممنوحة للسكان من قبل الحكومة بالإيجار الذى كان يدعى آنذاك « بالطابو » .

والموقوفة هى تلك الأراضى التى أوقفها أصحابها . وبذا كانت تدار من قبل

دائرة الأوقاف والتى لم تكن تباع ، وإنما كانت تُستغلُّ حسب وصية الواقف لصالح أماكن أو أشخاص أو مسائل دينية معينة .

والأراضى المتروكة كانت على قسمين وهى الأراضى المحيتة والأراضى المرافقة . فالأولى هى التى تختص بمرافق الطرق أو المنافع العامة الأخرى . والثانية هى التى كانت متروكة للرعى .

أما الأراضى « الموات » فهى تلك الأراضى البعيدة عن العمران والتى لم يزرعها أو يستغلّها أحد من قبل .

وهناك ثلاثة أقوال بخصوص هذا القسم من الأراضى أولها ماجاءفىقوله تعالى « إن الأرض لله . . . » إلى آخر الآية . والقول الثانى ما جاء بحديث الرسول الكريم « من أحيا أرضاً صار صاحبها » والحديث الشريف الآخر « من أحيا أرضًا لا صاحب لها فهى ملك له . » وقد اختلف العلماء حول تفسير هذه الأحاديث فقال بعضهم: «إن إحياء الأرض الموات كاف لتملكها» وقسم آخر منهم قال « إن الموافقة قبل إحياء تلك الأرض أو بعد إحيائها هو لازم لصحة تملكها » ولقد أقر القانون التركى أن من أحيا أرضًا مواتًا يمكنه الادعاء بملكيتها بالطرق القانونية .

وكان فى طرابلس دائرة لتسجيل الأراضى التى يملكها أى فرد كان . وكانت تعطى بذلك التسجيل بطاقة « ورقة طابو » تشير إلى اسم صاحب الأرض وحدودها .



... الأراضي المرافقة هي الأراضي المخصصة للرعي الحر...

الفصل الحادى عشر

النظام البلدى وحالة العاصمة العامة

بناءً على إحصاء أجرى فى عهد إبراهيم باشا قبل الاحتلال الإيطالى بوقت وجيز كان تعداد سكان طرابلس كما يلى :

١٩٥٠٠ مسلم منهم الأتراك والكولاوغلية والعرب والبربر .

٦٥٠٠ يهودى و ٤٠٠٠ أوروبى وبذا كان سكان الحاضرة حوالى ٣٠٠٠٠ نسمة ، وكان هناك ٢٧٥٠ بيتاً و ١٣٠٩ حوانيت و ٣٥ فندقا .

وكانت البلدة مقسمة إلى ٢٢ حارة وكان لكل حارة شيخ أو مختار كان بمثابة حلقة اتصال بين الإدارة وسكان حيّه . وفى عهد القرهمانليين كان عمدة البلدة يلقب « بشيخ البلد » وكان يعينه الأمير الحاكم ، وكان شيخ البلد آنذاك يقوم بمهام رئيس البلدية فى أيامنا هذه .

كان ذلك العمل جاريا فى مناطق المدن كانت الحكومة تؤيده حتى عام ١٨٧٢ عند ما ظهر قانون البلديات التركى عام ١٨٧١ الذى طبق فى العام الذى يليه، وبموجب ذلك القانون أقيمت البلديات.

كان المجلس البلدى مؤلفاً من عشرة أشخاص ينتخبهم كل فرد من

الأهالى جاوز الخامسة والعشرين من عمره ، على أن يكون قد دفع ضريبة قدرها نصف جنيه تركى وأصبح من رعايا تركيا . أما رئيس البلدية فكان الوالى ينتخبه من الأشخاص المنتخبين من قبل الأهالى .

وكان عمل البلدية يختص بنظام الأسواق ومراقبتها ومراقبة إطفاء الحريق وتنظيف البلدة ومساعدة البؤساء والسيطرة على أماكن اللهو العامة كالسينما والملاهى الأخرى والحانات والبيوتات العامة .

وفى عام ١٩١١ كانت هناك داران للصور المتحركة «سينما» وثلاثة فنادق وخمس مطاعم واثنان وسبعون قهوة وخمس وتسعون حانة أو (بار) فى مدينة طرابلس . وكانت أهم « لوكاندة » أو فندق هى لوكاندة منيرڤا « Minerva » وأحسن مطعم كان أصحابه من المالطيين .

وكان المجلس البلدى يجتمع مرتين فى الأسبوع . وكان يعقد اجتماعاً بلدياً عامًّا مرتين فى العام ذلك الاجتماع الذى كان يضم مستشارى البلدية ومجلس إدارتها ، وفى بعض الأحيان يحضر الاجتماع بعض كبار موظفى الحكومة الأتراك .

وكانت ميزانية البلدية تشتمل على بعض الإيرادات كمكوس الأسواق ومحال الذبح « السّلخانة » وكذلك ضريبة المقاييس والمكاييل والأوزان . وكانت المصاريف تحتوى على ماهيات موظفى البلدية وحرسها ، وكذلك على مصاريف إنارة الشوارع وتنظيم وسائل مياه الشرب، ومصاريف مستشفيات البلدية ومعاشات التقاعد .

كان المستشفى البلدى يحتوى على خمسين سريراً ، وكان هنالك مستشفى آخر حكومى وهو المستشفى العسكرى الذى كان يضم ٢٥٠ سريراً . وكان فى المدينة مستشفى ثالث يعرف بالمستشفى المسيحى .

وكانت المياه تجلب للحاضرة آنذاك من « بومليانة » و «عين زارة» .

أما البيوت بطرابلس فكان معظمها عديم التنظيم وبناياتها واطئة . وكانت الشوارع الرئيسية معبدة وتضاء بالليل بقناديل الكيروسين . أما الشوارع والجادّات الصغيرة ، وعلى الأخص فى أحياء اليهود ، « الحارة الكبيرة » و « الحارة الصغيرة » فكانت قذرة تعاف رائحتها الأنفس ، وظلامها حالك وكانت موحلة فى موسم الأمطار ، وكان عدم وجود مجارٍ للمياه فى تلك البقعة يزيد من قذارتها .

أما مدينة طرابلس على وجه العموم فقد كانت تجلب أنظار السيّاح والزوار . ولقد وصفها باديكير « Baedecker » كمايلى :

« إن المدينة ببيوتها البيضاء ، ومآذنها الرفيعة ذات الطابع التركى »
« وحدائقها النضرة بمجموعات نخيلها ؛ ورمالها الحمراء الضاربة للصفرة »
« وبحرها الأزرق الجميل ذى الغور : كل هذه المناظر السابحة فى جو تملؤه »
« أشعة الشمس البهية تؤلف صورة ساحرة لهذه المدينة » .

وكان أهم ما يجلب أنظار معظم السياح فى طرابلس ، ذلك الأثر الرومانى

المعروف فى يومنا هذا بقوس « ماركو أوريليو Marcus Aurelius » والذى بنى فى عهد « أنطونيوس بيوس Antoeus Pius » ولكن فى عام ١٦٣ دشنّ ثانية باسم خلفاء ذلك الامبراطور ماركو أوريليو ولوكيس ڤيروس « Lucius Verus » .



... إن المدينة ببيوتها البيضاء ومآذنها الرفيعة ذات الطابع التركى ...

الفصل الثانى عشر

الجاليات الأجنبية

لقد كان فى السنين العشر الأولى من القرن العشرين تسع جاليات أجنبية فى طرابلس وست أخرى فى بنغازى ، وكانت كل جاليـة ممثلة فى قنصلها الخاص :

وكانت المؤسسات البريطانية الآتية موجودة فى ليبيا وهى :

١ — پيرى بورى وشركاه ـ تصدير وكبس الحلفاء .

٢ — وليام ريلى ـ شركة تأمين على الحياة ووكلاء .

٣ — ر . ملّر ـ تجار عموميون .

٤ — ب . انجلاند وولده ـ وكلاء مصانع .

الجالية البريطانية :

كان معظم أفراد الجاليـة البريطانية من المالطيين ، وكان بعضهم من أهالى جبل طارق ويهود مراكش . وكانت أهم الصناعات والتجارة فى أيدى المالطيين « من أفراد تلك الجالية » فمثلا كان هناك :

١ — سمّوت وماليّا — أصحاب مطحن دقيق ، ومعصرة زيتون ومصنع

بلاط أسمنت كان ينتج ٢٥٠٠ بلاطة كل يوم . ومصنع لقشور الحوامض[١] التى كانت ترسل لانكلترا .

٢ — ى. س. أبيلا صاحب سينما ومقاولات .

٣ — كرابوت إخوان أعمال السفن .

٤ — س. شيني مستورد فحم

٥ — ى . غيرلاندو وأولاده تأمين على السفن ووكلاء مصانع ومصدرون ومستوردون .

٦ — لانزون إخوان كيمائيون .

٧ — زمّيت إخوان تجار مشروبات روحية ونبيذ .

٨ — ى . شيني أصحاب أتون جص وطوب .

٩ — پ. كسار معمل بلاط أسمنت .

١٠ — ى ا كويلينا مأكولات وتجار .

١١ — جون كاوتشى ملابس .

أما المؤسسات البريطانية الأخرى ذات الأهمية فهى :

١ — ب . دى سلفا مواد بناء .

٢ — روبين أربيب وكلاء كومسيون .

---

(١) تشمل الحوامض: الليمون والبرتقال والجريب فروت والطرنج و ...

٣ — كوريل واربيب . مأكولات ومنتجات .
٤ — أربيب وچونيا . قطع ملابس قطنية وصوفية وجلود .
٥ — م كوريل . وكيل مصانع .

وكان هناك بعض المؤسسات الأخرى من نفس الأهمية ودونها . وأن بعضاً من المالطيين قدرحلواعن هذه البلاد حيث ان ميناء تونس عام ١٩١١ كانت به تجارة وأعمال مهمة وهذاماأدى إلى نقصان أفراد الجالية فأصبح ٢٦٠٠ شخص.

الجالية الإيطالية :

كان عـــدد السكان الإيطاليين المقيمين فى ليبيا عام ١٩٠٠ يقارب ١١٠٠ شخص ، وكان بطرابلس ٩٣٠ شخصاً و ١٢٠ فى بنغازى وعشرون فى الخمس ، ومثلهم فى درنة ، وعشرة فى مصراتة .

لم تـكن أعمـال بنك روما عام ١٩٠٠ موقوفة على أعمـال البنوك الاعتيادية ، وكانت تتعداها إلى أبعد من ذلك كتعهد الشركات والتجارة بأنواعها « وأشياء أخرى ... » . وكانت هنالك جمعية المستعمرات الإيطالية « Soceità Coloniale Italiana » التى كانت تتعاطى الاستيراد والتصدير ، وكان معظم التجارة فى أيدى اليهود المتجنسين بالجنسية الإيطالية مثـل مؤسسات « حسّان » ونونس ڤيس وناحوم ولابى وحنونه . أما المؤسسات الإيطالية « غير اليهودية » فـكانت تخص جونيو بيسّى ـ مستورد وميشيلى إخوان ـ خردوات ووكيل عام للشركات .

الجالية الفرنسية :

كان عدد هـذه الجالية ٧٠٠ فرنسى أو متجنس بالجنسية الفرنسية .

وكان هؤلاء المتجنسون من أبناء الجاليات الأجنبية معظمهم من تونس .
وكانوا يتعاطون التجارة بأنواعها فنهم : أرثر ريكارد . وكيل كومسيون .
ه . دباش ـ مخزن مواد غذائية ووكيل عام . ايفى إخوان أصحاب مصنع
للصابون . جاكى برانيس ـ خردوات وأقمشة قطنية . س. سـيرور . مصدر
جلود ومستورد عام . سيالة إخوان تجار خردوات ومنسوجات محلية . ه. تمام
أعمال بنوك وصراف . وكان هنالك غير ما ذكر .

الجالية الاسبانية :

كان عدد أفرادها ١٠٠ شخص فى طرابلس و٥٠ فى بنغازى وبرقة وكان
معظمهم من التجار اليهود وأصحاب الصنائع .

الجالية الهولندية :

كان هناك سبعون يهوديا من رعايا هولاندا فى ليبيا بأجمعها « ولا يوجد
أحد فى برقة » .

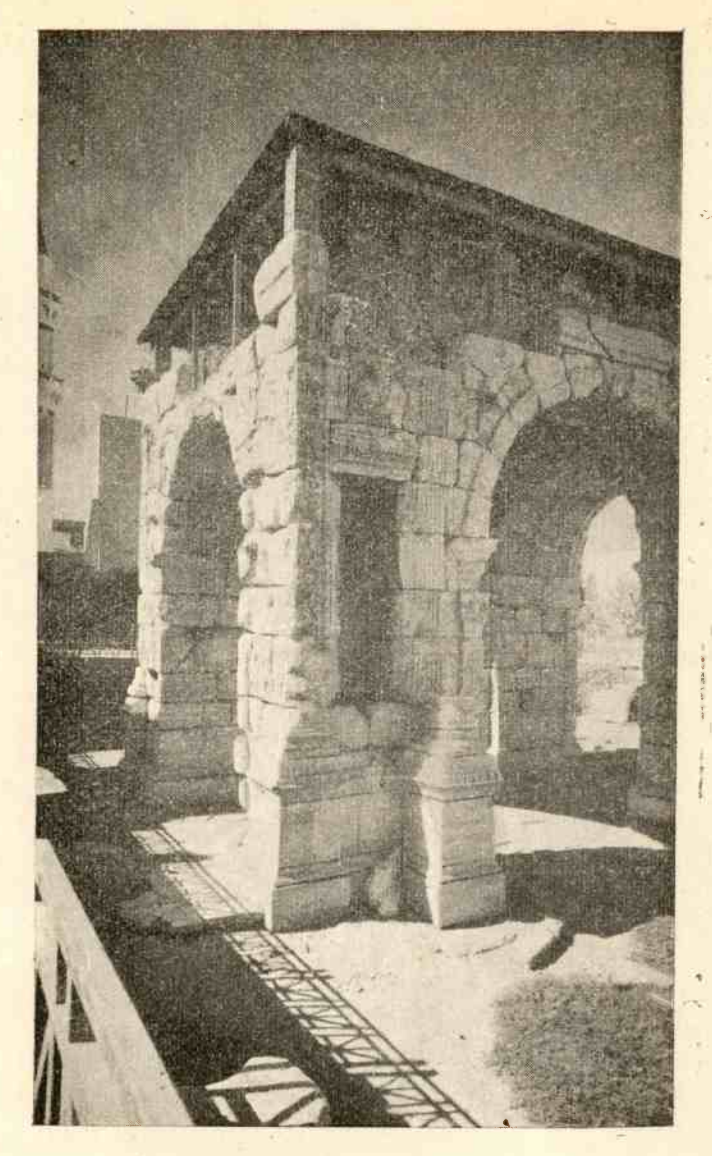
الجالية اليونانية :

كان هناك أكثر بقليل من مئة يونانى يعيشون فى ليبيا وكان
معظمهم يتعاطى صيد السمك والاسفنج، وقليل منهم يشتغل بالتجارة .

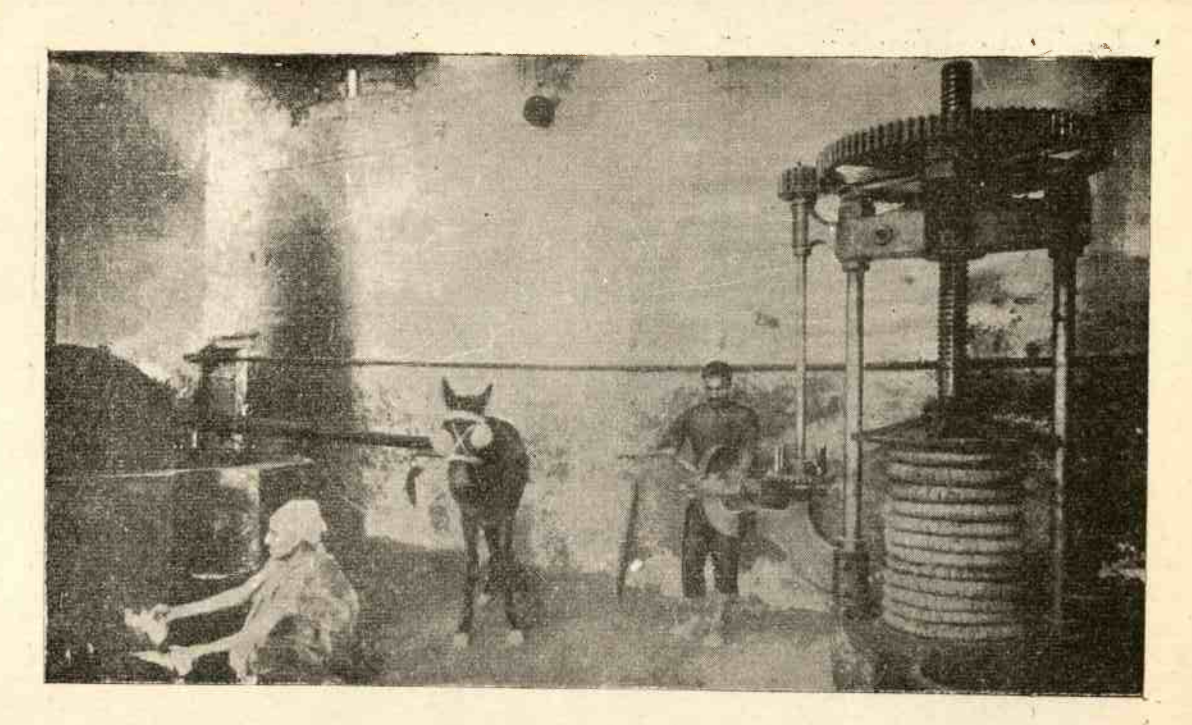
الجالية النمساوية والالمانية :

كان كل أفراد هاتين الجالتين من اليهود منهم ٨٠ شخصاً كانوا
يعيشون فى طرابلس و ٢٠ فى برقة . وكان هناك بنك خاص يدعى بنك
هانس « Hans » يتعاطى أعماله فى طرابلس[١] .

(١) رحل الكثير من هؤلاء لبلادهم. . .



... ذلك الأثر الروماني المعروف بيومنا هذا « بقوس ماركو أوريليو » ...



كانت معاصر الزيت تدار بالأيدى وبواسطة حمير مغمضة العيون

الفصل الثالث عشر

الزراعة والمواشى

اعترف الإيطاليون بأن الأتراك قد حاولوا رفع مستوى الزراعة وتشجيعها فى طرابلس ، وكانت الأراضى الزراعيـة فى ليبيا . والأراضى الممكن زراعتها المختصة بطرابلس الغرب هى فى الجفارة ، وواحات طرابلس ، وأراضى الساحل من مسلاتة والقصبات وفى الجبل ، وكذلك فى أودية فزان . أما فى برقه فكانت الزراعة فى سهل المرج والجبـل الأخضر والواحات . أما باقى المساحات فـكان معظمها صحراوياً أو صخرياً .

وكان الرى بالطبع هو العقبة الـكبرى حتى فى أيامنا هـذه ، وعلى الرغم من انتشار الـكثير من الآبار من قبل الحـكومة الإيطالية ، فإن البلاد على وجه العموم تعتمد فى زراعتها على الأمطار . أما الرى فـكان يقوم به الأفراد بأخـذ المياه من الآبار ليلاً ونهاراً بواسطة الثيران والحمير . وكان يفرغ ذلك الماء بعد إخراجه فى الجوابى ، ومن ثم يوزع بواسطة قنوات صغيرة على البساتين . وكانت التربة « وما زالت » طيبة للغاية على الرغم من هـذه الطريقة الفطرية المحدودة فى الرى . أما المحاصيل فإنها كذلك كانت وما زالت جيدة .

ومن بين الأشجار المثمرة : النخيـل ، والزيتون ، واللوز ، والليمون ،

والرمان ، والمشمش ، والتين ، والتوت ، ونبات الحنّاء . وعدا ما ذكر فكان يُزرع بتلك الأراضى : الشعير ، والحبوب ، والذرة ، والطباق ، والفاصوليا ، والطماطم ، والبطيخ ، والبصل ، والثوم ... الخ .

وهناك البطاطس المبكرة من النوع الجيد ، وكانت تصدر إلى أوروبا تحت اسم « بطاطس مالطا » وكانت البساتين والحدائق محاطة بأسوار ترتفع من متر إلى مترين ونصف ، وكان معظمها من الطوب أو اللبن .

وفيما يلى جدول عن المحاصيل ومواسمها فى تلك الأيام :

يناير – إبريل : البرتقال ، والليمون ، والأثمار الحمضية الأخرى .

إبريل – يونيو : اللوز ، والمشمس ، والقمح .

يوليو – سبتمبر : التين ، والعنب .

اكتوبر – ديسمبر : البلح ، والزيتون ، والمندلينا .

وكان محصول بلح الساحل أقل قيمة « من حيث النوع » من محصول بلح الدواخل ، وكان الأخير هو الذى يصدر للخارج .

وهناك عادة معروفة فى ليبيا وكذلك فى غربها تختص « بقطع » شجر النخيل لاستخراج «اللاقبى» وتبقى النخلة الواحدة تعطى ذلك الشراب بعد قطعها لمدة ستين يوماً . وكان « قطع » النخيل لإخراج اللاقبى منه « كما هى الحالة اليوم » يقع تحت قانون حكومى خاص كان بموجبه أن اللاقبى يستخرج من الشجرة لمدة ٤٥ يوماً فقط . أما اللاقبى فهو شراب مشابهٌ فى طعمه لشراب جوز الهند عند ما يكون طازجاً باليوم الأول . أما فيما بعد فإنه يتحمض وترتفع



وكان نوع تمر الساحل أقل قيمة من غيره

درجة تخمره فى الأيام التى تلى ذلك[١] .

لقد لاحظ الأتراك وحسبوا أنه فى مدة عشر سنوات ، تكون خلالها سنوات أربع طيبة المحاصيل ، وبها تكون الحبوب ليست كافية للسكان فقط بل وزائدة عن احتياجاتهم بكميات وافرة يمكن تصديرها الى الخارج مع بقاء بعض الاحتياطى . وخلال العشر سنوات هذه تكون هنالك سنوات أربع متوسطة الإنتاج الذى ربما يكون كافياً لحاجة السكان إذا لم يزد على ذلك قليلا . وفى السنتين الباقيتين ، يكون المحصول خلالها قليلاً وهكذا ، فإن الزائد من المحصول من السنين الجيدة والمتوسطة يكون كافياً للحاجة مع قليل من الدقيق المستورد .

وكان الشعير فى السنين الجيدة المحصول يصدر بكميات وافرة وعلى الأخص لبريطانيا ، أما القمح والحبوب الأخرى فكانت تصدر للموانئ الأوروبية .

وفيما يلى أرقام نقلت عن القنصلية البريطانية عن مدة ١٦ عاما « ١٨٦٢ـ ١٨٧٨ » . وحسب ما هو مبين أدناه نرى السنين التى كانت خلالها تصدر الحبوب أو تستورد .

---

(١) « اللاقبى شراب أبيض ، حلو فى اليوم الأول من تحصيله ، وعند تخمره يكون مسكرا إذا أخذت كمية وافرة منه ، وهو مضر بانتاج البلح وضرره أكثر من نفعه . ولقد جرت السلطات اليوم على منع هذه العملية فحرمت قطع النخيل لتحصيل اللاقبى وكانت أول منطقة بطرابلس الغرب قامت بمحاربة هذه العادة هى منطقة الزاوية . ولقد نجحت فيما قامت به ، ولم تقطع أية نخلة فى هذا العام لذلك الغرض . ويا حبذا لو سلكت باقى المقاطعات هذا المسلك الحسن . وما ذلك على همة المصلحين ببعيد . » المعرب .

التصدير من طرابلس الغرب :

القمح ...	الثمن بالفرنـكات =	١٤٬٧٨٦٬٠٠٠
الشعير ...	« =	٥٬٠٧٦٬٠٠٠
المجموع : =		١٩٬٨٥٣٬٠٠٠

الاستيراد لطرابلس الغرب :

القمح ...	الثمن بالفرنـكات =	٧٬٩٢٥٬٠٠٠
الشعير ...	« =	١٠٬٤٢٢٬٠٠٠
المجموع : =		١٨٬٣٧٤٬٠٠٠

زيادة التصدير على الاستيراد :

١٬٤٧٩٬٠٠٠

لم تـكن هناك أية معلومات بما يختص بالاستيراد أو التصدير من برقة وإليها ، ولـكنه من المعلوم أنه كانت هناك كميات كبيرة من الشعير كانت تصدر من بنغازى إلى المملـكة المتحدة « بريطانيا » .

تـكثر أشجار الزيتون فى منطقة مسلاتة . وفى عام ١٩١٠ كان مجموع محصول الزيت فى طرابلس الغرب يقدر بـ ٦،٠٠٠،٠٠٠ لتيرة .

وكانت الأبقار ، والثيران ، والأغنام على أنواعها فى ليبيا ـ وعلى الأخص فى برقة ـ كثيرة العدد وجيدة ، خصوصاً إذا كانت من الجنس الإفريقى ،

وعلى العموم فإنها كانت بدرجة جيدة . وكان أهم سوق للماشية يقام فى بنغازى .

وكان تصدير ليبيا من الماشية للخارج مهماً ، وفى عام ١٩٠٦ يقال ان ٥٠٠،٠٠٠ رأس صدرت ، وفى عام ١٩٠٨ وحسب تقرير قنصل إيطاليا فى بنغازى كان يصدر من برقة لمالطا فى كل أسبوع ٧٠٠ رأس من البقر فى حين أن ماصدر لمصر فى ذلك العام كان ٣٤،٠٠٠ رأس من الغنم و ٢٠،٠٠٠ رأس من البقر .

اشتد المحل والجفاف الذى حصل فى ليبيا عام ١٨٨١ حيث هلك معظم الحيوانات ، وكذلك عام ١٨٩٢ عند ما كان المحل والجفاف عظيمين فى برقة ، وقد كتب القنصل البريطانى فى بنغازى تقريراً قال فيه « إنه يلزم عشر سنوات كى تُسدَّ خسارة الحيوانات التى فنيت فى ذلك العام » . هـذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإننا إذا نظرنا للأرقام المذكورة أعلاه نرى كيف أن الحالة تحسنت جداً فى مدة أقل مما كان متوقعاً لها .

إن أبقار ليبيا لا تعطى إلا القليل من الحليب حيث الأهالى يفضلون لبن الأغنام على لبن البقر الذى كانوا يستخرجون منه السمن والذى كان يصدر لتركيا واليونان .

وكان الصوف يصدر شهرياً لفرنسا وإيطاليا وكان المحصول لا بأس به. أما ثمنه فـكان بخساً لقذارته ولعدم اعتناء الأهالى بتنظيف الماشية قبل جز الصوف عنها .

أما الجمال فكانت من النوع الجيد والقوى ، وتعدادها كبير . والحمير كانت كثيرة العدد ولكنها من النوع الصغير . ولقد كان هناك فى عام ١٩٠٣ مقدار ٣٠٠٫٠٠٠ جمل فى طرابلس الغرب وحدها . وكان هنالك أيضاً حوالى ٣٠٫٠٠٠ رأس من الخيل .

وعلينا أن نذكر هنا شيئاً عن تربية النحل التى كانت بعض القبائل فى المرج والجبل الأخضر تقوم بها . وكان العسل والشمع يصدران لتركية .

ولقد أنشئ عام ١٩١٠ بنك زراعىّ كان القصد منه مساعدة الزراع مالياً ، وكان رأس مال هذا البنك مكتتب به من قبل بعض المنشآت الزراعية فى الإمبراطورية التركية . وكان فرع طرابلس يدفع فائدة ٤ ٪ على رأس المال المكتتب به محليًا . وكانت أشغال البنك تشمل أيضاً السلف المضمونة برهونات من الأموال غير المنقولة .



... كانوا يستغلون الكثير من الآبار بواسطة رفع الماء

الفصل الرابع عشر

الصناعة والتجارة

القطن ، والصوف ، والحرير

إن أول صناعة فى ليبيا فى عهد الأتراك كانت حياكة القطن والصوف والحرير . وكانت الأنوال الأفقية ذات الوشع [1] تستعمل بالأيدى والأرجل والتى ما زالت كذلك فى أيامنا هـذه ولـكنها كانت أكثر مما هى فى عهد الإيطاليين . وإن نقص وتدهور هذه الصناعة كان سببه هجرة الأشخاص الذين كانوا يقومون بها إلى تونس إبان الحرب التركية ـ الإيطالية عام ١٩١١ وأيضاً لأن الإيطاليين لم يشجعوا على إنماء هذه الصناعة . وكانت ليبيا فيما بعد « فى عهد الاحتلال الإيطالى » تعتبر من البلدان المستوردة لصناعة النسيج الإيطالية . وكان عدد الأنوال المستعملة فى طرابلس عام ١٩١١ كما يلى :

١٧٠٠ نول تنسج القطن .

٣٥٠ نولاً تنسج الصوف .

١٥٠ نولاً تنسج الحرير .

وكان فى مصراته ٢٥٠ نولاً أفقيًّا لحياكة الصوف، وعدد كبير من الأنوال الرأسية [2] لحياكة السجاجيد والجرود من نوع العباءات الثقيلة. أما فى بنغازى

(١) « المكوك »   (٢) العمودية

فكان هنالك ٤٥٠ نولاً كانت تستعمل لحياكة القطن ، وخمسون أخرى لحياكة الصوف ، وحوالى عشرة أنوال لحياكة الحرير . أما فى درنة فكان حوالى ١٠٠ نول لحياكة القطن واثنى عشر نولا لحياكة الصوف .

ونذكر فيما يلى بعض أنواع « الحوالى »[١] التى كانت تُحاك فى ذلك الوقت والمعروفة لدى الأوروبيين بكلمة « براكانو » .

الحولى : وهو ما يعرف بالرداء[٢] إذا كان مصنوعاً من القطن .

حولى الحرير : وهو ما يصنع من الحرير .

حولى الصوف : وهو ما يصنع من الصوف .

حولى مجعّب : « « « والقطن .

حولى حلايلى : وهومايصنع من الحرير والصوف ، أومن الحرير والقطن.

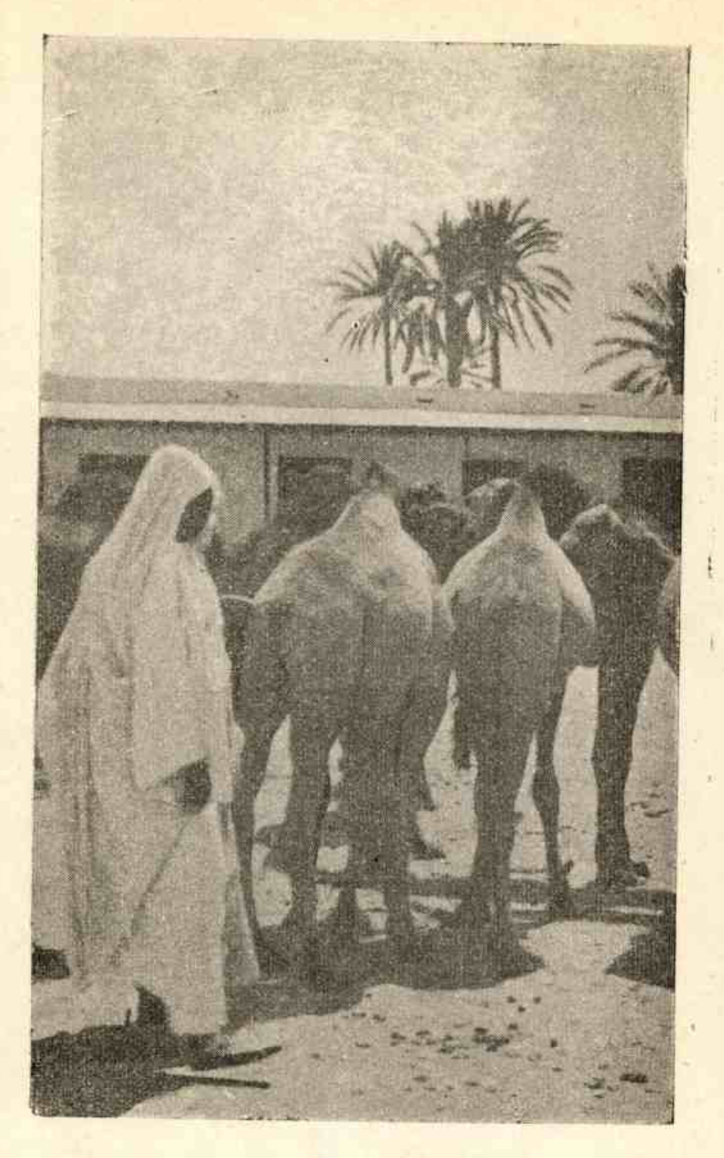
حولى جبالى : وهو مايصنع من صوف ثقيل .

عباية : تصنع من صوف ثقيل جداً على نول رأسى كالذى تصنع عليه السجاجيد .

والرداء أو الحولى القطنى يزيد طوله على أربعة أمتار بعرض مترين إلا قليلاً. وكان سعره خمسة قروش . وكانت طرابلس تنتج حوالى ٢٥٠٫٠٠٠ رداء ، وكان ٧٥ ٪ منها تستهلك محلياً والباقى يصدر إلى تونس وبرقة . وكانت الخيوط القطنية تستورد فى الغالب من مانشستر ، وقليل منها يستورد من النمسا وكمية ضئيلة جداً من إيطاليا .

---

(١) يعنى الأحرمة (٢) ويختص بلبسه النساء فى طرابلس



. . . كانت الجمال من نوع قوى . . .

أما الصناعة نفسها فكان يقوم بها أفراد من طرابلس . وكانت الألوان المفضلة هى الأحمر ، والأصفر ، والأزرق ، والأسود . وكانت عملية الصباغة يقوم بها بضع مئات من العمال المسلمين واليهود .

وكان سوق الرباع القديم بطرابلس هو المكان الذى تباع به الحوالى ، وكذلك كان يقصده المشترون والحاكة على حدٍّ سواء . وكان الباعة يعرضون أمتعتهم ويبيعونها بالمزاد العلنى . وكانت «غدامس» لها شهرتها بحياكة الحوالى من النوع الصغير « ٥×٢ » أقدام . وكانت كذلك مشهورة بحياكة قمصان الأولاد المطرزة والمعروفة «بالهردقة» . وكانت الملابس المحاكة فى «يفرن» لها شهرتها وكذلك التى كانت موشاة ومطرزة إما بالحرير أو بخيوط القطن .

وكان مقياس حولى الصوف هو «١٥×٥» أقدام، وكان متوسط سعره اثنى عشر قرشاً فى عام ١٩١٠ . وكان اللون الغالب هو اللون الأبيض أو الضارب للبياض . وكان إنتاج هـذا النوع من الحوالى لسنين قليلة قبل عام ١٩١١ يبلغ ٢٥٫٠٠٠ حولى مجموع أثمانها ٣٫٠٠٠ ليرة تركية . وكان ٣٠٪ من تلك الحوالى تصدر إلى برقة وتونس ومصر .

كان الصوف عادة يُغزل محلياً ولكن خيوط هـذا الغزل كانت غليظة ولا تسمح بنسج الحوالى الصوفية الخفيفة . وهذا ما أدى بالحاكة إلى استيراد خيوط الصوف المغزولة من جربة . وكانت هذه الخيوط المغزولة تصدر لجربة من انكلترا . وهذا ماحدا بطرابلس فيما بعد إلى استيراد تلك الخيوط الصوفية رأساً من بريطانيا قبل عام ١٩١١ . وكانت مقاطعة « برادفورد » هى التى

تقوم بالتصدير لطرابلس الغرب . وكانت قيمة تلك المغزولات تبلغ حوالى ألف جنيه استرلينى كل عام .

كان الحولى « الجبالى » ينسج بمقاطعة الجبل وعلى الأخص « بنالوت » من غزل محلى . وأن هـذا النوع هو أبيض لوناً من جميع الحوالى الأخرى المنسوجة بطرابلس الغرب حيث كان الصوف يوضع فى محلول الجير الذى كان يعطيه ذلك اللون الناصع البياض . وكان مقياس هذا النوع من الحوالى يبلغ « ١٦ × ٥ » أقدام وكان يتراوح سـعره ما بين ٤٥ ـ ٥٠ قرشاً للحولى الواحد .

أما العباءة. فـكما أسلفنا ، كانت من النوع الثقيل وخيوطها مغزولة محلياً، وكانت النساء يقمن بحياكتها وعلى الأخص فى منطقة مصراته على أنوال عمودية . وكان قياس العباءة كقياس حولى الصوف ولـكن سـعرها كان ٢٠ قرشاً للعباءة الواحدة .

وكانت هناك «البطانيات» وهى من صنع طرابلس وكان قياس الواحدة « ٢٥ × ٦ » أقدام . وكان سعر الواحـدة ٢٥ قرشاً . وهناك بطانيات أخرى قياس الواحدة « ١٨ × ٤½ » أقدام كان سعرها آنذاك ١٦ قرشاً . وكانت هذه البطانيات تغزل وتنسج وتصبغ محلياً من خيوط الصوف الغليظة. وكان « سوق الرباع الجديد » هو المـكان الذى تباع فيه الحوالى الصوف .

كانت «مصراته» ذات صيت وسمعة عالية فى إنتاج السجاد المعروف بالسجاد المصراتى . والذى كان ذا ألوان وأشكال وزخارف متعددة . وكانت تستعمل تلك السجاجيد لفرش البيوت وتزيين الجدران ولأشياء مماثلة عـدة . وكان

لكل نوع من ذلك السجاد إسم خاص حسب زخرفه . وكانت هنالك أنواع « المدرج » و « البارة » و « الرمان » و « صبّاط القاضى » و « الزليص » و « المرقوم » و « الكليم » .

وكان ينتج فى كل عام حوالى ٧٠٠٠ سجادة وبساط تبلغ قيمتها ٢٠،٠٠٠ ليرة تركية . وكانت تصدر معظم تلك السجاجيد لمصر وبرقة .

وهناك نوع آخر من السجاد يدعى « بالحمل » وهو مصنوع من خليط من شعر المعز ووبر الإبل، وكانت نساء البادية بالدواخل تقوم بحياكة «الحمل» وهو الذى كان يستعمل فى بناء بيوت الشعر [١] .

كانت صناعة الحرير فى طرابلس صناعة محلية بحتة ، يقوم بمعظمها عمال من اليهود . وكانت أدواتهم بسيطة ومحدودة مصنوعة من الخشب المصنوع بالأيدى . وكان سوق الحرير بطرابلس لا يتعامل إلا بالحرير الصينى الذى كان يستورد عبر مرسيليا ، وكان الحرير الإيطالى المعروف باسم « دبيونى » هو النوع الوحيد ـ بالنظر لسعره المعتدل ـ الذى كان يزاحم الحرير الصينى ولكنه لم يكن يستورد بكثرة لعدم موافقته لذوق الحاكة كما كان الحرير الصينى ، ولكن فيما بعد كان الحرير الإيطالى « الدوبيونى » يستعمل وتباع منتوجاته لأهالى الداخل . وكان الحرير يدبغ محلياً آنذاك ويستعمل من قبل الأهالى على السواء . وكان يقوم بدباغته صناع مهرة . وكان قياس القطعة يساوى « ١٢ × ٥ » أقدام ، وكان يباع بسعر ٣ قروش للأوقية . وكان وزن

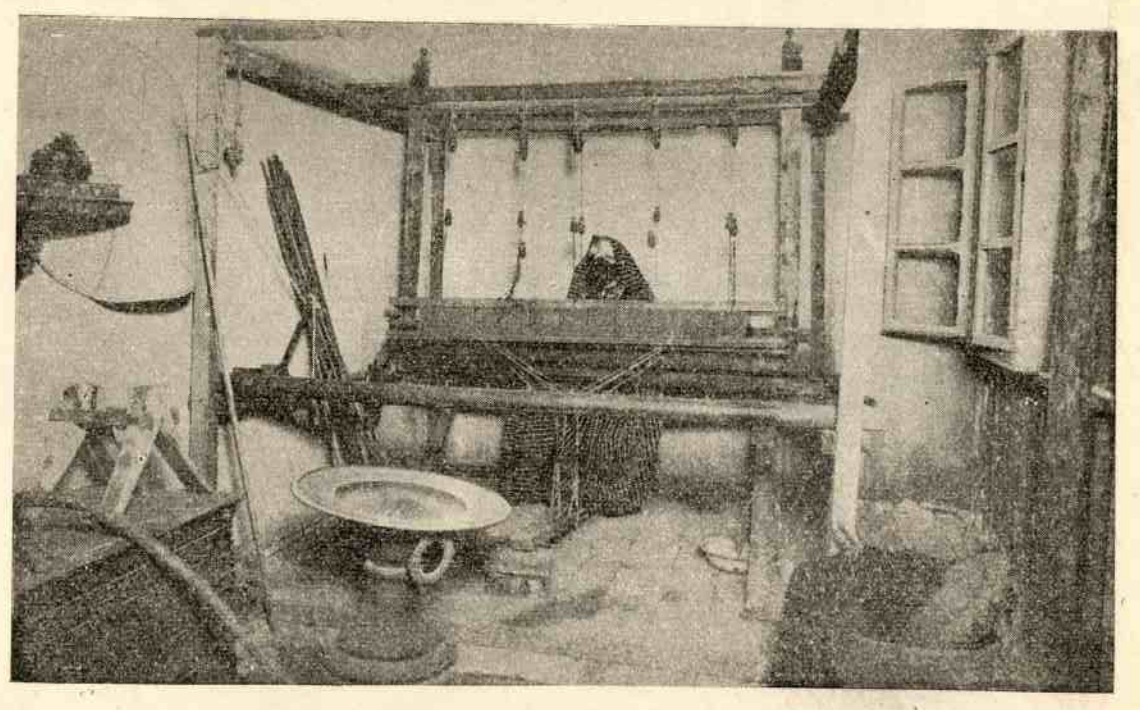
---

(١) المعروف أن « الحمل » يستعمل للغطاء فى أيام الشتاء وكذلك لفرش البيوت . أما بيت الشعر فهو مكون من قطع صوفية تعرف الواحدة منها محلياً باسم «فليج» «المعرب».

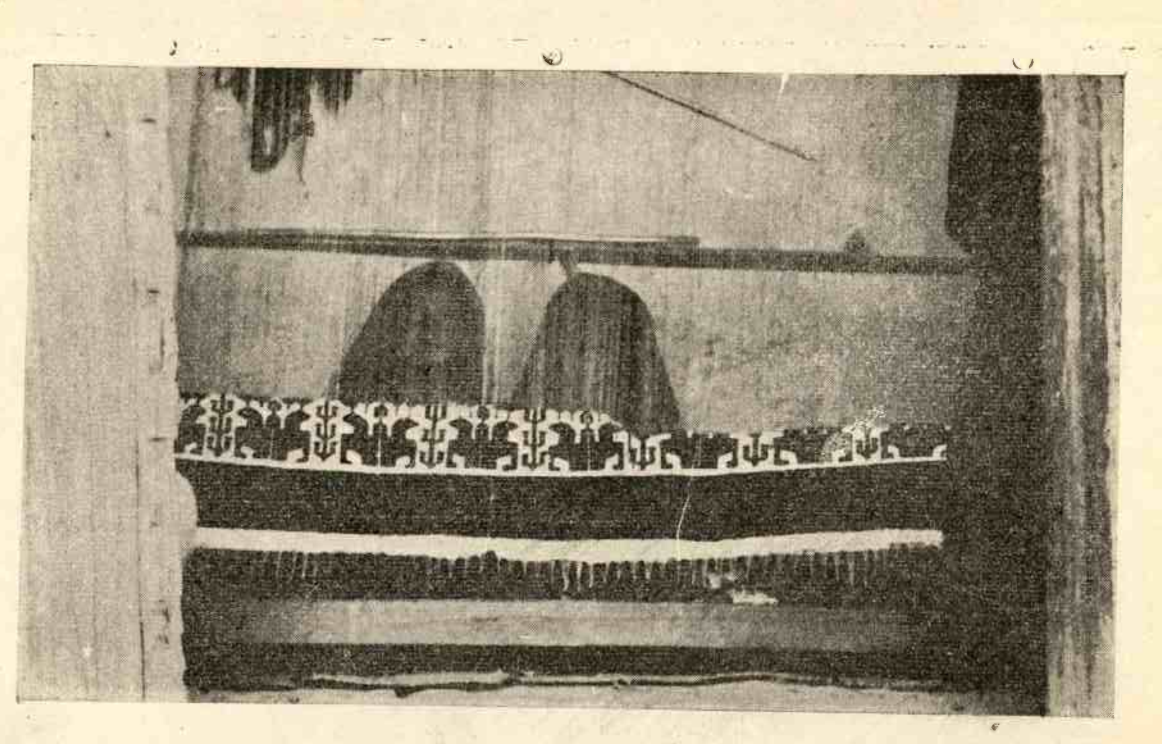
القطعة الواحدة من « ٢٢ ـ ٢٥ » أوقية وكان يُدخل فى نسيج تلك الحوالى الحريرية بعض خيوط من الخيوط الذهبية والفضية . ومن المعلوم أن هذا كان يزيد فى ثمنها حسب كمية الخيوط المحتوى عليها الحولى . وكانت هذه الحوالى تستعمل فى هدايا الأعراس عادة .

وكان بطرابلس حى يدعى بسوق الحرير وكان معظم تجاره من العرب . ولم يكن هنالك تجار جملة لحوالى الحرير . وكان يقدر إنتاج هـذا النوع من الحوالى بثمانية آلاف قطعـة ثمنها ٥٠٠٠ ليرة تركية . وكان يباع معظمها فى طرابلس والباقى كان يصدر لبرقة ومصر . وكان حاكة طرابلس يصنعون أنواعاً أخرى من قطع الحرير التى كانت تستعمل فى الملابس الأوروبية وكذلك فى صنع « حزامات » ملونة ومناديل تستعملها نساء العرب واليهود أغطية لرؤوسهن ، ومن أهم هـذه الصناعة الحوالى على اختلاف أسمائها حسب ما هو مذكور أدناه .

« حولى الوزرة » ، « حولى قالب سـعفة » ، « حولى صورانى » ، « حولى ملايات أحمر » وكذلك كان « الحزام » و « المحرمة » و « الـكسوة » وكانت الأخيرة تستعمل فى الملابس الأوروبية وكان قياسها « ١٣ × ٥ » أقدام من حرير صينى ومصنوعة ومصبوغة فى طرابلس .



أنوال أفقية يشتغلون عليها بأيديهم وأرجلهم



... وأنوال عمودية لعمل السجاد ...

الفصل الخامس عشر

صناعة الحصر، وتطريز المخمل والجلود

وصناعة الذهب والفضة

لقد كانت تصنع فى طرابلس حصر كثيرة من نبات الحلفاء ذات أطراف، ومن نبات « السمار »[1] . ونبات الحلفاء ينبت بكثرة فى هـذه البلاد، وكانت الحصر الطرابلسية ذات قيمة أعلى من غيرها فى البلدان المجاورة كتونس مثلاً، وإن الحلفاء الخام بذاتها لم تـكن ذات قيمة تذكر، ولـكن عند ما كانت تجمع وتصدر للأسواق كان سعرها حوالى ١٠ بارات للشبكة الواحدة البالغ وزنها ثلاث قناطير[2] . وكان السكان الوطنيون ماهرين فى صناعة الحصر . وكان الـكثير منهم يكتسب رزقه من هذه الصناعة مع أن ربح الواحد فى هذا القسم من الصناعة يزيد قليلاً على القرش يومياً . وكان ثلث الناتج يصدر لتركيا . وكان ثمنـه يساوى ٣٠٠٠ ليرة تركية ذلك الثمن الذى كان دائماً فى ارتفاع وكان العرب بالدواخل يفضلون الحصر المتناسقة الألوان والمصنوعة من نبات الحلفاء على غيرها من الحصر . وكان هذا النوع أقل ثمناً . وكان سعر الحصيرة الواحدة يتراوح بين ٢٥ بارة إلى قرشين حسب مساحة الحصيرة والمادة المصنوعة منها

---

(١) نبات يظهر على ضفاف المستنقعات وهو يشبه نبات الحلفاء ولـكنه أغلظ وأطول منه .

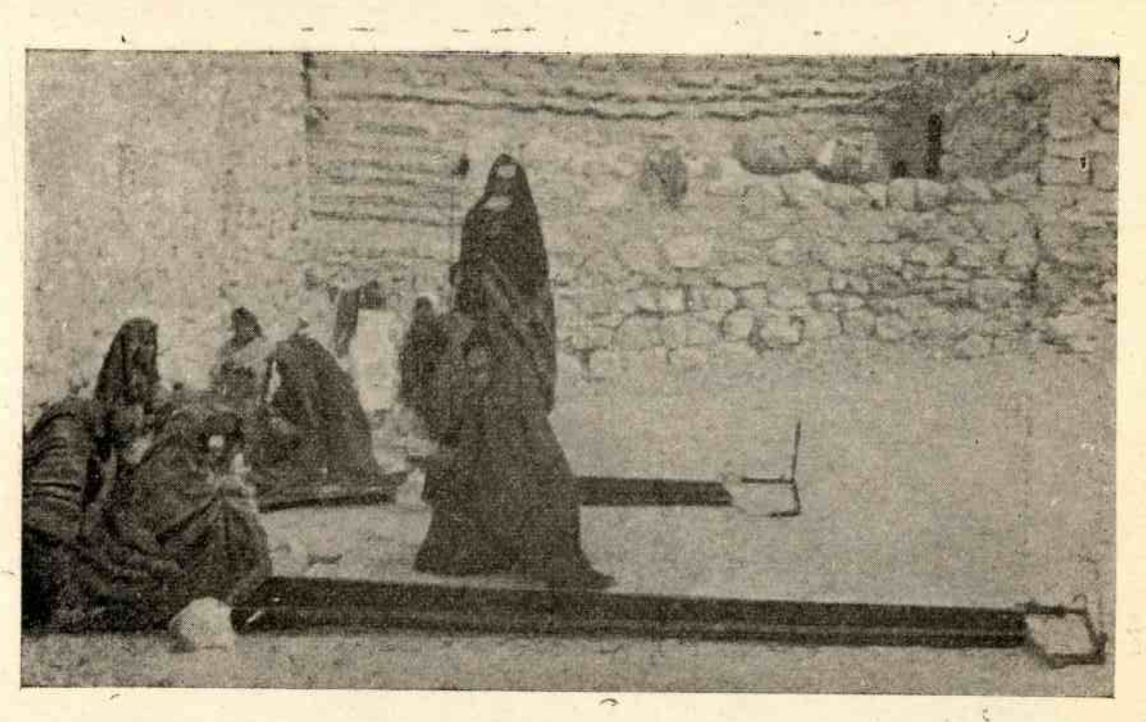
(٢) القنطار الطرابلسى ٥٠ ك . غ فى ذلك الوقت

وكانت الحصر المصنوعة من نبات « القنب » أو نبات الكتان محاكة بعناية أكثر من تلك الحصر المصنوعة من الحلفاء وكان سوقها رائجاً أكثر وسعرها أعلى . وكان سعر القدم المربع منها يتراوح بين « ٣ ـ ٥ » قروش. وكان قياس الحصيرة الواحدة ٢٠ × ١٠ أقدام . وكانت تستعمل لفرش المساجد ، وبعضها يصدر لبرقة والاسكندرية وتونس ، وما تبقى بعد ذلك كان يباع محلياً .

كانت صناعة الحصر فى مصراته ذات أهمية كبرى ، وكانت النساء يقمن بحياكتها على جميع الأحجام وعلى الأخص فى « تاورغا » . وكانت هـذه الحصر تلون بالأحمر والأخضر اللذين كان يؤتى بهما من الإسكندرية . وكانت تصنع على أنوال ويدخل خلالها خيوط من الصوف أو ألياف من سعف النخل مع بعض ألياف من نبات « السمار » الذى كان ينبت بكميات وافرة فى مستنقعات «تاورغاء» وكانت مساحة هذه الحصر «٩ × ٥» أقدام، وكان سعر الواحدة يتراوح بين «٢½ ـ ٣» قروش . وكانت هذه إحدى الصناعات المحلية . ولقـد قيل انه لم يكن هناك بيت فى تاورغاء لم يكن فيـه نساء يقمن بعمل الحصر على نول أو نولين أو على ثلاثة أنوال .

* * *

كان العرب واليهود يعنون كثيراً بلباس نسائهم . وكانت قمصانهم كثيراً ما توشى بالخيوط الذهبية والفضية بمهارة فائقة . وكان الصناع أنفسهم يصنعون قمصاناً يُدخل فى حياكتها الكثير من الخيوط الذهبية والفضية



... وكان «الحمل» تقوم بصنعه نساء البادية ...



... وكانت « الحوالى » الحرير يقوم بصنعها عمال مهرة

يستعملها سراة المسلمين. وكانت هنالك « البرانيس » المشهورة وصناعتها . وكان يلبسها وجهاء العرب ورؤساؤهم فى دواخل ليبيا والسودان .

وكانت نساء المدينة من عرب ويهود وكذلك وجهاء العرب يلبسون أغلى أنواع الملابس التى كان يتفاخر الرجال بلبسها ويمرون خلال الأسواق . أما النساء وعلى الأخص المسلمات منهن ، فكنّ يظهرن زينتهن فى بيوتهن ، وإذا خرجن لا يُظهرن تلك الملابس الثمينة حيث كن يغطين أنفسهن بالحوالى من الرأس حتى القدم ولا يظهر من وجوههن سوى عين واحدة .

وكانت الزخارف كثيراً ما توضع على سروج خيل وجهاء البلاد لتعطيها منظراً خلاباً ، ونسرد هنا بعض الملابس التى كانت مطرزة وموشاة وكانت تلبس من قبل الرجال والنساء .

ملابس النساء : « الفانق » و « الفرملة الفانق بالشريط » و « الشيّاتة » و « القفطان » و « المريول » و « الكوفية » .

ملابس الرجال : « السروال » و « الفرملة » و « الزبون » و « البدعية » و « البرنوس » و « البرنوس السودانى » .

أنواع شتى : « البشت » و « الخاطية » وهى قماش مصنوع من المخمل المزركش بالذهب والفضة .

وكانت هنالك صناعة أخرى هى صناعة الجلد المطرز بالفضة . وكان كثير من الصناع العرب يقوم بهذه الصناعة . وكانت الشوارع ملآى بحوانيتهم التى كانت بمثابة مصانعهم ، ولقد أظهر الصناع العرب الكثير من المهارة فى هذه الصناعة ، ولقد كان الكثير من هذه الصناعات يضاهى أحسن منتجات أوروبا

والهند لأناقتها وصعوبة نماذجها وإليكم بعضاً من هذه الصناعات :

« السبتة والغلاف » وهى حزام البندقية وغطاؤها من أعلى .

« نقالة زوز غدارى » وهى جوا[١] وقشاط كتف لغدريتين .

« محزمة » صندوق ذخيرة وكيس لكحل البارود .

« جوا سيف عرب » وهو بيت السيف وحمالة الكتف .

« بلغة منقوشة » بالفضة أو بالحرير .

« الترليك » و « الكندرة » .

« حزام ثلاثينى » وهو حزام الذخيرة مع بيت لكحل البارود .

« كيس دخان مضغة » .

« جوا سكين » و « جوا الكمية » .

كانت صياغة الذهب والفضة ذات أهمية لا بأس بهـا ، وكان يقوم بهذه الصناعة على وجه يكاد يكون إجمالياً اليهود فى طرابلس وأطرافها . وكانت كميات كبيرة من هـذه الصناعة يشتريها العرب فى الدواخل وبعض العرب واليهود على الساحل . وكانت تصدر كميات لا بأس بها إلى برقة وتونس .

كانت «حارة اليهود» فى طرابلس غاصة بصاغة الذهب والفضة التى كانت تستورد من فرنسا وكان قسم آخر من الفضة يبيعه العرب المحتاجون وكان يصهرويدخل فى الصناعة من جديد . وكانت صناعة الفضة فى ازديادأو نقصان حسب موسم الحصاد ، حيث كان البدو ـ حتى الفقير منهم ـ يشترون شيئاً من تلك المصوغات لتقديمها لنسائهم « وعلى الأخص فى موسم الحبوب والحصادالجيدين» .

(١) الجوا : الغمد



... حزامات ملونة للعرب ...



وتصنع فى مصراتة حصر جيدة ...

وكانت الفضة تصنع من عيـــار ٩٠٠ / ١٠٠٠ و الذهب من عيار ١٨ قيراطاً، وكانت هناك بعض المصوغات المصنوعة من ذهب عيار ٢٢ قيراطاً . أما المصوغات المصنوعة من الذهب القليـل العيار أو العيارات البسيطة فلم تـكن معروفة فى طرابلس الغرب . وكان متوسط محصول صناعة الذهب والفضة خلال السنة يساوى ٢٥٫٠٠٠ ليرة تركية .

وكانت المصوغات تؤلف قسما كبيراً من مهر العروس عند العرب واليهود وكثيراً ما كانت هذه المصوغات تقوم مقام احتياطى تلتجئ النساء إليها عنـد الضرورة برهنها لاستلاف دراهم لمعاملات تجارية أو ما يشابه ذلك .

وكانت صياغة الذهب والفضة تختلف نوعاً ما فمنها الثقيل والخفيف ، وكانت الأدوات المصوغة تضاهى - إلى حد ما - الصناعات الأوروبية الجيدة الصنع . وإن الأدوات التى كانت محفورة من هذين المعدنين كانت معروفة بجودة صناعتها أيضاً .

وإليـكم بعض أسماء هذه المصوغات[1] :

« الخلال » و « الصالحة » و « الضباط » و « الشناجل » و « الشعرية » و « المـكحلة » و « الدبالج » و « الحـزام » و « الخلخال » و « الخرص » وجميع ما ذكر يصنع من الفضة .

---

(١) سيأتى اليـوم الذى تذهب به عادة شراء هذه المصوغات الفجرية ويحل محلها مصوغات أقرب منها للذوق السليم . لقد خلق الله الدنيا فى ستة أيام ... « المعرب »

الفصل السادس عشر

تجارة نبات الحلفا وصيد الإسفنج

كانت الحلفا التى تجمع فى ليبيا وباقى أقطار إفريقية الشمالية يصدّر معظمها لبريطانيا . وكان هذا النبات ينمو بكثرة ومن تلقاء نفسه حول أسوار طرابلس وبلاد أخرى فى طرابلس الغرب ، وكان يغطى مساحات واسعة تمتد من الشاطئ حتى حدود الجبل ، وفجأة ظهر أن الحلفا تنفع فى صناعة الورق فصارت تصدر بكميات كبيرة إلى انكلترا واسكتلندا ، وهكذا اختفى ذلك النبات من جهات الموانئ . وكان عدم اعتناء الأهلين به السبب فى اختفائه، ولكن الحلفا بقيت تأتى لأسواق طرابلس محمولة على الإبل من أماكن بعيدة من الدواخل فى شباك تحمل الواحدة منها حوالى ٧٠٠ لبرة « ٣٤٠ ك . غ تقريباً » . وكان يوم الأحد هو اليوم المخصص على وجه العموم لبيع محصول تلك الشباك . وكان الأعراب يشترون ما يحلو لهم من طرابلس بثمن تلك الحلفا التى كانوا يبيعونها آنذاك .

وكانت الأسعار دائماً فى تقلّب حسب الثمن الذى تدفعه الأسواق البريطانية وليس حسب الكمية الموجودة . وكان السعر أيضاً يختلف حسب نوع الحلفا فكان سعر القنطار غير الجيد من الحلفا يساوى تسعة قروش أما النوع الجيد فكان يصل سعر القنطار منه إلى ١٧ قرشاً .

وكان تجار الحلفا يشترونها من الأسواق ومن ثم ينقلونها إلى مخازن معدة

لذلك حيث كانت أليافها تفرز من قبـل خبراء « عادة من النساء » . وكانت الألياف الخضراء المتناسقة هى الأحسن نوعاً إذا كان النبات طازجاً،أو صفراء يابسة إذا كانت الحلفا منشفة بالشحن . أما الألياف الأخرى فكانت على درجات أدنى حسب كثرة النقاط السوداء على أليافها . وكانت هذه البقع السوداء تعنى فساد الحلفا الذى كان سببه حصاد النبات فى غير الموسم المعين له أو للرطوبة التى تصيبها . ومن هنا تكون الحلفا ضعيفة عند حصادها فى أيام الشتاء أو فى الفصل الماطر .

وعند انتهاء عملية الفرز كانت الحلفا تضغط فى رزم بمكبس خاص بذلك ومن ثم تشحن فى البواخر . وكان التجار يشترون الحلفا ويجرون عملية الفرز والضغط بمكابس فى أمكنة قريبة من مكان الشراء أو قريب من منبت الحلفا .

كانت الحلفا تشحن للموانىء البريطانية فى بواخر معدة لذلك . وكانت أجرة الشحن تبلغ ٩ ـ ١٠ شلنات على الطن الواحـد . وكان معدل ما يصدر من الحلفا فى كل عام بين سنة ١٩٠٢و١٩١١ مايقارب ٣٠٫٠٠٠طن . وكانت معامل الورق بانكلترا تدفع ثمناً يتراوح بين ٥٥ ـ ٧٢ شلناً على الطن .

* * *

أما صناعة صيد الإسفنج فى طرابلس الغرب فكانت ذات أهمية خاصة . وكان محصول الإسفنج فى السنين الجيدة فى ليبيا يعادل ٣٥٫٠٠٠ ليرة تركية فى كل عام . مع أن مجموع محصول جميع حوض البحر الأبيض المتوسط كان يساوى ١٠٠٫٠٠٠ ليرة تركية . وهكذا نرى أن محصول ليبيا كان يساوى أكثر من ثلث محصول هذه المنطقة . وكان اسفنج ليبيا وعلى الأخص اسفنج برقة يعد من أحسن الأنواع فى الأسواق الأوروبية . وكان متوسط الأسعار

التى وصل إليها ثمن الإسفنج الليبى بين عامى ١٩٠٩و١٩١١ يزيد بمقدار ٣٠٪ على ثمن الإسفنج التونسى . وكان سعر الإسفنج من نوع « الحصان » هو أعلى ثمن معروف . وكان هذا النوع مقسماً إلى قسمين فى الأوساط التجارية كما نرى :

النوع الأول :

« الحجرى » ، « التراچانا » ، « البيارة » ، « الفيكو » ، « اللاسبى » وكان نوع التراچانا ينمو فى جهات مصراتة . وكان اسفنج البيارة يقل بقيمته بمقدار ١٥٪ عن قيمة النوع الحجرى . أما الفيكو « ويدعى كذلك لنمو نبات بداخله يعرف بهذا الاسم » فإنه يكثر فى الجهات الغربية من طرابلس الغرب . أما اللاسبى فكان أقل ثمنا من الجميع ، حيث ان أليافه لم تكن ذات قوة ، وكان وزنه يزيد على وزن أنواع الإسفنج الأخرى .

النوع الثانى :

كان النوع الثانى من اسفنج الحصان مقسماً بنفس الدرجات كما هى الحالة فى النوع الأول ولكن ترتيب تلك الأنواع كان يأتى فى الدرجة الثانية لسبب عدم تناسب شكلها .

وكان نوع الزموكا قليل فى الجهة الغربية من طرابلس الغرب ولكنه كان يكثر فى جهات خليج سرت وغربى برقة. أما هذا النوع فكان يأتى فى الدرجة الثانية بعد اسفنج الحصان فى الأسواق التجارية . وأخيراً كان هنالك نوع آخر يعرف بأذن الفيل لشكله . وكان هذا النوع أردأ أنواع الاسفنج الليبى وكان منه الجيد والردىء حسب خشونته . وكان الإسفنج فى طرابلس الغرب



... يغطون أنفسهم من الرأس حتى القدم « بحولى » كبير ...



وتؤلف المجوهرات الذهبية والفضية جانباً كبيراً من المهر

يباع بالميزان وكانت وحدة الوزن هى « الأقة » . أما فى برقة وسرت فكان يباع بالواحدة حسب اختلاف حجم الإسفنج .

وكانت طريقة صيد الإسفنج المتبعة فى ليبيا ، هى تلك الطريقة التى كان يستعملها اليونان بواسطة جهاز الغطس . وكانت هذه العملية تحتاج لقاربى صيد أحدهما كبير يستعمل لجمع الإسفنج والآخر أصغر منه وهو الذى كان يحمل الغطاسين والملاحين الذين يعملون على مضخة الهواء . وكان القارب الأول يدعى « ساكّو ليڤو » والآخر يدعى « سكافو » وكان هذا الأخير يدعى أيضاً « بالماكينة » ومنه كان الغطاس ينزل نفسه إلى البحر بواسطة سلّم بينما كان رجل آخر باقياً بالمركب ليلاحظ سير سحب المواسير والخراطيم. وكان كذلك فى نفس المركب أربعة رجال يقومون بعملهم على مضخة الهواء يعمل كل اثنين مع بعضهما فى كل فترة . وكان الغطاس يحمل وهو تحت الماء شبكة مربوطة بيده اليسرى يضع فيها ما جمعه من الإسفنج بيده اليمنى وكانت الغطاسون المهرة من اليونان ينزلون إلى الماء إلى عمق ٤٠ قامة. وكانت المدة التى يبقاها الغطاس تختلف حسب العمق الذى ينزل فيه ، وكان ذلك عادة يتراوح بين ٤٠ ـ ٥٠ متراً . وكان يبقى تحت الماء من ٥ ـ ٨ دقائق وكانوا يستطيعون المكث فى بعض الأحيان مدة نصف ساعة .

كان اليونان يستعملون نوعاً من الشباك المصنوعة من خيوط الكتان المتينة لصيد الإسفنج . وكانت لتلك الشباك ميزتها الخاصة . وهى كونها تصلح للعمل فى أى عمق ، ولكنها لم تكن توافق جميع منابت الإسفنج . وكانوا أيضاً يستعملون نوعًا من السنارات التى كانوا يدعونها : « كاماكى » .

كان هنالك موسمان لصيد الإسفنج ، الموسم الصيفى وهو المهم ، وكان

يبتدئ بشهر مارس وينتهى بشهر اكتوبر . والموسم الشتوى وكان يبتدئ بشهر نوفمبر ويستمر حتى شهر فبراير .

وكانت تجارة الإسفنج تقسم كما يلى :

اليونان ٤٠ ٪	انكلترا ١٨ ٪
هولاندا ١٧ ٪	إيطاليا ١٠ ٪
تونس ٨ ٪	بلدان أخرى ٧ ٪

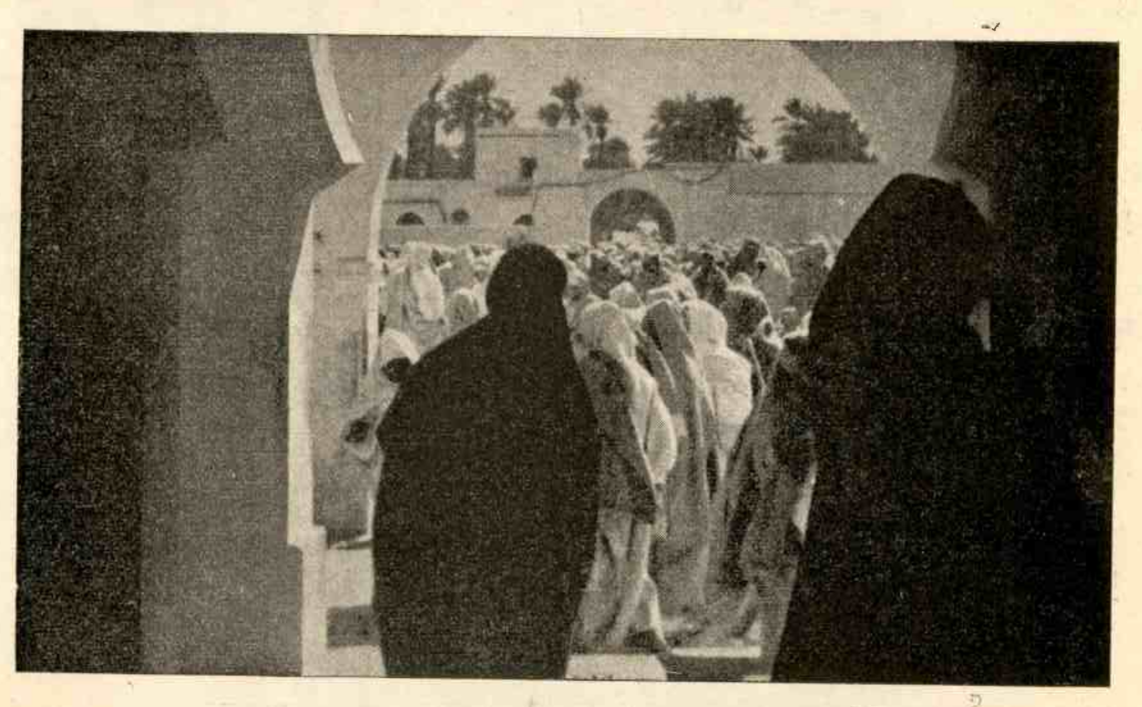
كان البحارة يصيدون الإسفنج ويسلمونه للتاجر الذى كان يترك الإسفنج بعد صيده مدة من الزمن تحت أشعة الشمس ليجف ، ومن ثم كان الإسفنج يغسل فى ماء البحر ثم يداس بالأقدام كى تزول منه الأجزاء الرخوة ، وبعدها يضرب بهروات لتكسر المواد الجيرية العالقة به ثم يربط بالخيوط من وسطه ويعلق ليجف . وكانت هذه هى العملية الأولى .

أما العملية الثانية الرئيسية ، وهى ماتدعى بالعملية التجارية فكان يضرب الإسفنج لإزالة آخر مادة من المعادن التى ماتزال عالقة به وعلى الأخص بالقسم الأسفل منه ، ومن ثم كان الإسفنج يقص بمقصات خاصة من جهة الجذور التى يكون لونها أحمر بنياً كى يأخذ الإسفنج شكلاً اعتياديا . وبعد ذلك كان الإسفنج يغطّس فى محلول من حامض « الموريات » وحامض « الكبريتيك » كى تتحلل المواد الجيرية منه والمواد الأخرى التى ماتزال عالقة به . ثم يغسل فى البحر وينقّى بوضعه فى محلول حامض « الأوكساليك » ثم يخرج ويغسل بماء البحر ثانية وبعدها يوضع فى ماء الجير الحى لتجريده من الحوامض التى تكون قد علقت به وهكذا يكون الإسفنج بعدها جاهزاً للتجارة .

ويقوم التجار بصبغ الإسفنج بلون أصفر فاتح أو بنى حسب طلبات الأسواق.



ولا تترك نساء البدو أية فرصة للتحلي بحليهن الذهبية والفضية



ويتجولن في الشوارع في بقية أيام الأسبوع

الفصل السابع عشر

تجارة القوافل

الجلود ، ريش النعام ، وصيد التّن

لقد بلغت تجارة القوافل ذروتها فى العشرة الأعوام بين «١٨٧٢-١٨٨١» وبلغت قيمة تلك التجارة ٤٠٬٠٠٠ ليرة تركية . ثم هبطت تلك القيمة فى العشرة الأعوام التى تلت ذلك « ١٨٩٢ - ١٩٠١ » فوصلت ٢٤٬٧٥٠ ليرة تركية ، مع العلم بأن طرابلس بين عامى « ١٩٠٤ - ١٩٠٥ » كانت حائزة على على كل احتكارات « مونوبولى » تجارة القوافل مع السودان . ولكن ظهر فيما بعد أن طرابلس قد خسرت الكثير من هذه التجارة حيث انتقلت إلى أسواق أخرى .

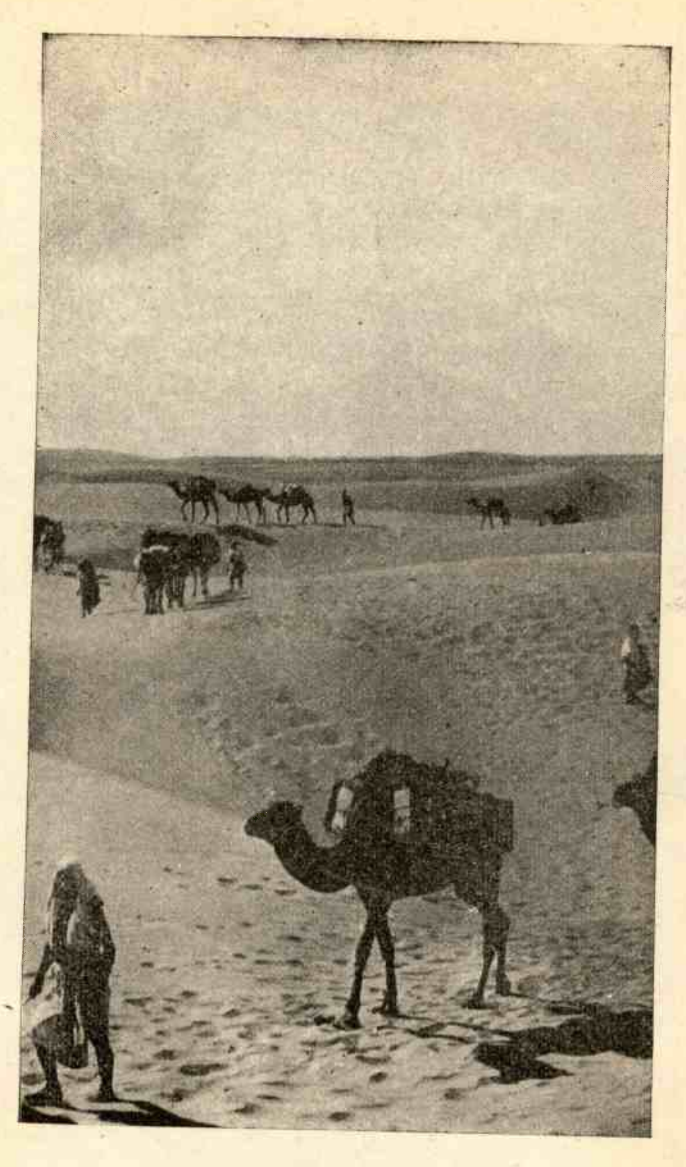
كانت هنالك عدة دواعى أدّت إلى ذلك التدهور أهمها احتلال فرنسا «للتمبوكتو» ذلك الاحتلال الذى قطع التجارة مع تلك المنطقة الغنية وكذلك مع ما جاورها من البلدان . وكان السبب الثانى هو فتح طرق المواصلات التى مدّتها انكلترا مع نيجريا حيث صارت البضائع ترسل بواسطتها من منطقة « كانو » فى أواسط السودان ضمن مواصلات أسرع وأقصر من القوافل ومنها كانت تشحن تلك البضائع بالبواخر إلى « ليفربول » فى بريطانيا .

كانت هناك طريقان للقوافل فى طرابلس ، تسير الأولى إلى وسط أفريقية بعد أن تمر « بسرت » و « سوكنا » و « مرزوق » و « بلما » حتى تصل

إلى « بورنو » أو من طرابلس إلى « تبستى » و « واداى » ثم تمر على «غات» و « الحوسا » ، أما الطريق الأخرى فـكانت تبتدىء من طرابلس وتمر بـ « فسّاطو » و « سيناوين » إلى « غدامس » بعد أن تسير على طريق قوافل « غات » ومن ثم تسير إلى « أغاديس » و « دمرجو » و « زندار » وتصل إلى « كانو » .

وكانت القوافل تنظّم من قبل التجار بعد اتفاقهم فيما بينهم . وكان لـكل واحـد منهم تجارته أو حصته من البضائع أو الدراهم . وكانت قيادة القافلة توكل إلى رجـل يدعى « قافلة باشى » أو « كراڤان باشى » ويـكون عادة من المسلمين . ولم يكن أفراد القافلة هم دائماً أصحاب التجارة أو أصحاب البضائع فى القافلة ، فـكثير من تجار العرب واليهود كانوا يرسلون بضائعهم بالقوافل مع أناس مأجورين إلى عملائهم فى « غات » أو « غدامس » وكان بعض التجار يتصلون بالتجار العرب فى الهوسا من أعمال الزندار . وكانوا يرسلون لهم تجارة يقايضون بدلها ببضائع ترسل إليهم من هناك بواسطة تلك القوافل. وكانت الأرباح تقسم فيما بعد بين أصحاب البضاعة ورجال القافلة بحصص متعادلة .

كانت حمولة القوافل من البضائع المرسلة للخارج تعد فى طرابلس بطريقة تسهل حملها على الجمل. وكان الجمل الواحد يحمل حزمتين من تلك البضاعة تزن الواحدة منهما من ٧٥ ـ ٨٠ كيلوغراماً . وكان من بين البضائع التى ترسل بكميات هائلة : البضائع القطنية والملابس الصوفية ومناديل الحرير والشاى ، والقهوة ، والسـكر ، والمرايا ، وورق الـكتابة وبعض الصباغات . وكانت البضائع التى ترسل من السودان هى العاج ؛ وريش النعام ، وجلود الماعز



وكانت رئاسة القوافل تعهد لشخص يدعى « قافلة باشى »

المدبوغة ، وأدوات جلدية أخرى ، وكذلك القرب ، والبخور ، والسنامكى ، وبعض المنسوجات السودانية .

وكانت الجلود تباع لتجار أو شركات تجارية يهودية معروفة فى طرابلس. وكان أولئك التجار يُصَنِّفون تلك الجلود فى « الفنادق[١] » وكان الكثير من العمال العرب يقومون بهذه العملية ويعملون على مدار أيام السنة .

وكانت الجلود الخام أو المدبوغة ترسل بعد عملية التصنيف إلى « لندن » وبعض الجلود الأخرى كانت ترسل «لبوسطن» فى الولايات المتحدة . وكانت تصل إلى طرابلس من السودان بعض الوسائد الجلدية الجيدة الصنع والتى كانت ذات شكل خاص وتستعمل بكثرة فى بيوت العرب وكذلك القرب الجلدية التى كان يستعملها أفراد القوافل لحفظ مياههم أثناء سفرهم من السودان وإليه .

وكان هنالك عمل مهم آخر يقوم به القوم وهو ترتيب وغسل وتجارة ريش النعام . وكانت القوافل تحمل الريش لأسواق طرابلس ذلك الريش الذى كان يصنّف لمعرفة نوعه ولونه ومصدره . فلقد كان هنالك فرق بين ريش النعام الأليف المستحضر من جنوب أفريقية وريش النعام غير الأليف المستحضر من السودان ، وعلينا أن نعرف أيضاً أن هنالك فرقاً بين ريش الذكر وريش الأنثى . وبعد عملية التصنيف هذه يغسل الريش ويوضع فى طرود ويرسل لفرنسا عبر مرسيليا وإلى النمسا عبر تريستا وكذلك إلى ميلانو حيث كان النساء يضعنه على قبعاتهن ويستعملونه فى مراوح الهواء ومسائل نسائية

---

(١) جمع فندق وهو ما يعرف فى الشرق بالخان .

أخرى . وعدا تجارة ريش النعام كانت فى طرابلس أيضاً تجارة بيض النعام .

أما العاج فقد ازداد استيراده من السودان فى السنين الأخيرة من العهد العثمانى زيادة مطردة . وكان على نوعين معروفين هما « البرناوى » الذى كان يستجلب من « برنو » و « السودانى » الذى كان يستجلب من السودان أو « الهوسا » .

وكان النوع الأول ذا قيمة أعلى من النوع الثانى لنصاعة بياضه ولليونته التى كانت تسهّل صنع أدوات دقيقة وجميلة منه .

وكانت أنياب فيلة «برنو» على العموم قصيرة دقيقة فى مقدمتها وعريضة من الداخل . أما النوع الثانى فكان أكثر انحناءً من النوع الأول ، وذا مادة أقسى ، ولم يكن لون بياضه ناصعاً .

ذكرنا سابقاً أن صيد الاسفنج كان ذا أهمية كبرى لتجارة طرابلس ولاقتصادياتها ولكن لا يمكن هذا القول عن صيد الأسماك عامة وصيد التنّ خاصة مع أنه بعد الاحتلال الإيطالى أصبحت هذه الصناعة ذات أهمية عظمى فى ليبيا .

لم يكن صيد الأسماك فى طرابلس أو برقة ذا أهمية تذكر ، وكان ذلك العمل محدوداً بالأماكن المأهولة على الشاطئ . وكان القوم يقومون بذلك العمل على طريقة فطرية وبواسطة السنارات . وكان المحصول يستهلك محلياً . ولقد جربت بعض الشركات الأوروبية عدة مرات القيام بمصانع لصيد التن على شكل حديث ولكن صعوبة الحصول على الترخيص من استانبول كانت تحول دون ذلك .

الفصل الثامن عشر

احتكار الملح والدخان ، وتربية دودة الحرير
ومصانع الفخّار « الخزف » ، وحجارة الصوان

لم يكن احتكار الدخان والملح فى ليبيا تحت إدارة الحكومة المحلية ، بل إن الحكومة العثمانيـة عهدت بإدارة ذلك الإحتكار لشركة « الريجى » تلك الشركة التى كانت تدير نفس الإحتكارات فى جميع أنحاء الامبراطورية التركية .

وكانت رئاسة تلك الشركة فى استانبول . وكانت هنالك مراقبة زائدة على احتكار الملح من قبل « مكتب الدين العثمانى العام» الذى كان قد وضع ضريبة خاصة على الملح .

وزراعة الدخان كان مسموحاً بها فى واحات طرابلس فقط كى يسهّل ذلك مراقبتها وعـدم صرف مبالغ كبيرة للقيام بتلك المراقبة ، ولأن أنواع الدخان المرغوب فيها كانت محدودة أيضاً ، وكانت الأوراق التى تنتج محصولاً طيباً هى تلك المعروفة « بالفزّانى » و « الطرابلسى » . وكان الأول يزرع فى يناير ويجنى فى يوليو . وكانت أوراق هـــذا الصنف قوية وثخينة . أما نوع الطرابلسى فكان يزرع فى فبراير ويجنى فى أغسطس أو أوائل سبتمبر ، وكانت أوراقه خفيفة وليست قوية كأوراق « الفزانى » .

وكان الهكتار ينتج من الدخان الفزانى من (٣½ ـ ٤) أطنان من

الأوراق الجافة ، بينما كان الهـكتار ينتج من الدخان الطرابلسى (١ ½ ـ ٢) من الأطنان . وكان إنتاج الصنف الأول دائماً ضعف إنتاج الصنف الثانى . وكان إنتاج الصنفين يُعدُّ عادة بعناية ومصروفٍ بسيطين . وكان هذان النوعان من المرغوب فيهما عند الزراع . وكان الدخان يحتاج إلى ريّ كثير . وكان نقصان الماء كلياً أو جزئياً يؤدى إلى نقص كبير فيه أو يؤدّى إلى إعطاء إنتاج ضعيف .

لم تـكن تلك الزراعة جيدة على وجه العموم حيث ان الإنتاج الجيد كان دائماً يحتاج إلى ريّ كثير وتربة طينية وجوّ يوافق تلك الزراعة ، هذه هى القواعد التى كان على الزارع أن يتخذ احتياطاته لها .

وكانت الطريقة التى يتبعها الأشخاص للحصول على تصريح بزراعة الدخان بسيطة . ولم يكن على الطالب سـوى إبراز شهادة تثبت أمانته وأخرى تبين حيازته لقطعة من الأرض موافقة للزراعة يتعهد بهـا الشخص تحت إمضائه أمام المدير بأن يزرع تلك الأرض دخاناً لحساب دائرة الاحتـكار ، وأن يطيع أوامر الإدارة ، وأن لا يعارض فى مراقبة الدخان من قبل الإدارة ، وأن يقبل الثمن الذى تدفعه عند شرائها المحصول . وفى أواخر الحـكم التركى كان هناك ٧٣ زارعاً للدخان فى ليبيا .

زراعة الدخان :

كانت مساحة الأراضى المزروعة دخاناً لا تتجاوز الخمسة عشر هكتاراً تدرُّ حوالى ٢٦ طنا من الدخان الفزانى و ١١ طنا من الدخان الطرابلسى . وكان الدخان يجهز فى طرابلس ويصنع منه النشوق « النفّة » ودخان المضغ .



كانت صناعة الفخار محدودة تتألف من أنواع بسيطة

وكانت أوراق الدخان المستخرجة محلياً يصنع منها النشوق وطباق المضغ . أما التمباك فكان يجلب من الشرق ويُدخّن بالنارجيلة .

***

كان الساحل الليبي غنياً بمصافي الملح الطبيعي. وكانت ملاّحات «رأس التين» في درنة و «سيدي حسين» في بنغازي و «عمال التبن» في مصراته و «الملاّحة» في طرابلس و « عمّال الفرّش » في زوارة هي الملاّحات التي كان ينتفع بها .

وكانت هنالك ملاّحات أخرى ولكن كان استخراج الملح منها ممنوعاً . أما الملاحات في سرت وطبرق والسلوم فكانت آنذاك تهيّأ لاستخراج الملح منها.

استخراج الملح :

كانت صناعة استخراج الملح في بنغازي وطرابلس تعهد إلى أشخاص معينين لاستخراجه على حساب دائرة الاحتكار. وكان ربح الحكومة التركية سنوياً يساوي ٤٠٠٠ ليرة تركية في طرابلس الغرب و ٣٦٫٠٠٠ ليرة تركية في برقة.

تربية دودة الحرير :

إن تربية دودة الحرير أو دودة القزّ تستحق الذكر هنا ليس لأنه كان في ليبيا إنتاج من ذلك ولكن لنسجّل محاودة محمودة قام بها الوالي أحمد راسم باشا لينشيء هذه الصناعة . ولقد تابع أعماله هذه الوالي الذي خلفه وهو نامق باشا الذي ذكرنا عنه سابقاً أنه كان أكثر أهلية لشغل مركزه من الولاة الآخرين الذين جاءوا ليبيا .

ففي عام ١٨٩٩ استحضر راسم باشا ٢٢٠٠ شجرة توت من الأناضول

وأمر بزراعتها فى مناطق عدة فى ليبيا . ولقد نمت تلك الأشجار وساعدت على زيادة إنتاج دودة الحرير . ولـكن الولاة الذين جاءوا بعد خلفه لم يلتفوا إلى هذه الصناعة الجيدة ولم يولوها شيئا من عنايتهم، وهكذا أهملت تلك الصناعة وتركت.

صناعة الفخار :

لم تـكن صناعة الفخَّار « الخزف » ذات أهمية فى عهد الأتراك ، فـكان معظم أدواتها يستورد من تونس . وكانت أهم مراكز هذه الصناعة بطرابلس الغرب هى « غريان » وطرابلس. وكان الناتج منها محدوداً ، وكان يتألف من أنواع بسيطة من الأوانى التى يستعملها العامة ، فـكان منها :

« البرّادة » و « المخفيّة » و « الـكرازة » و « الحلاب » و« الابريق» وكانت هناك أيضا أوان للطبخ وخصوصا طبخ « الـكسكسى » المشهور وأدوات للمواقد .

وكان فخار « وادى المجينين » هو أحسن الفخار المعدود فى هذه الصناعة. أما الأدوات التى كان لونها قريبا من اللون الأبيض فـكان معظمها يستعمل لحفظ الماء

وكانت هنالك قوة دافعة لصناعة الفخار عام ١٨٩٩ عندما افتتح «صف» لهذه الصناعة فى مدرسة الفنون والصنائع . وكانت النتيجة المتحصلة من ذلك الصف جيدة للغاية وخصوصاً فى فن «الفخار العجينى» الذى كان يستعمل فى تلك الصناعة

وقبل أن ننتهى من هذا الفصل علينا أن نذكر شيئاً عن صناعة أحجار الصوّان التى كانت تستعمل لتوليد شرار النار حتى فى بعض الأسلحة ، تلك الصناعة التى انتعشت أيام ولاية سامى باشا ولـكنها ماتت فيما بعـد عند شيوع صناعة الـكبريت الفسفورى والـكبسول .



وكانت هناك أسواق رئيسية فى الدواخل ...

الفصل التاسع عشر

التجارة البحرية ، الأسواق ، البنوك ، الواردات والصـــادرات

كانت السفن على وجه العموم تُشحن بالبضائع فى ميناء طرابلس التى كانت تعد المركز التجارى الرئيسى فى ليبيا . ولقد كانت بنغازى تقوم أيضاً بنصيبها فى هذه التجارة . وكانت تمر على هذين الميناءين الرئيسيين ، الصادرات مثل ريش النعام والعاج ، والذهب « بكميات بسيطة » ، والجلود المدبوغة والخام ، والإسفنج ، والصوف ، والسجاد ، والحصر على أنواعها ، والملح ، والشعير ، والفواكه الحمضية ، والتمر ، والصودا . وكذلك بعض الحيوانات كالغنم ، والماعز ، والخيول والحمير . وكانا ميناءا « الخمس » و « زليطن » يستعملان لتصدير الحلفاء بينما موانئ « زوارة » و «مصراتة» و «سرت» و « مرسى سوسة » و « درنة » كانت ترسل منها الحبوب كالقمح وأشياء أخرى قليلة ، وكذلك الملح .

وكانت الواردات التى تصل إلى الموانئ المذكورة تتألف من الملابس القطنية والصوفية والأدوات الحديدية والفحم والملابس الحريرية والكتانية والخشب « لبناء البيوت وللحريق » والموبيليا والأدوات الزجاجية والبضائع الحديدية وأشياء متنوعة مصنوعة ، وكذلك الأرز والدقيق والخمور والمشروبات الروحية والسلاح وكحل البارود والدخان والورق والسكر والقهوة والشاى .

كان « سوق الخبز » و « وسعاية الحلفاء » من أهم الأسواق فى طرابلس

وفى الأخير - زيادة عن بيع الحلفاء فيه - كان يقام هناك يوم الثلاثاء سوقٌ لبيع الماشية وكان يباع فيه من (٢٠٠ - ٢٥٠) رأساً من الماشية . وكان العرب يأكلون لحم المعز والضأن ، وكان يؤمُّ هذه السوق الإسرائيليون والنصارى كذلك .

وكان الكثير من الماشية يُرسل إلى مالطا بالبحر وكذلك لمصر بطريق البر وكان متوسط ما يرسل للخارج من الماشية يقدر بـ ٣٥٠٠٠ - ٤٠٠٠٠ رأس فى كل عام .

وكانت هناك أسواق ذات أهمية فى الدواخل عدا أسواق طرابلس . فكانت أسواق مهمة فى «سوق الجمعة» و «الزاوية» و «زوارة» و «مصراتة» و « غريان » و « يفرن » و « جادو » و « نالوت » و « ترهونة » و « بنى وليد » وفى أيام الاحتلال الأخيرة خسرت بعض الأسواق الكثير من أهميتها مثل أسواق « غدامس » و « غات » و « جالو » و « الكفرة » .

أما فى برقة فكان أهم وسط للتجارة هو الميناء الرئيسى فى « بنغازى » وكان البيع بالمدينة يقام بالمزاد العلنى . وكانت هناك كذلك أسواق يومية مفتوحة للماشية من أغنام وماعز .

نرى مما تقدم أن الحالة فى طرابلس كانت فى ذلك العهد لا بأس بها من الوجهة التجارية ، خصوصًا إذا علمنا أيضًا أنه كان فى عام ١٩١١ حوالى ١٥ مصدّراً ومستورداً ، و ٩ وكالات تجارية ، وستة بنوك ذات عمل متواصل ، فكان هناك بنك « كريدى ليونيه » والبنك « الإنكليزى المالطى » وبنك « دى روما » والبنك « الألمانى الشرقى » وبنك « ناسيونال دى اسكمبتى »

والبنك «التجارى الإيطالى» . وكانت هذه البنوك تقوم بمعاملات على حساب بعض البنوك الأخرى .

وهناك نقطة ذات أهمية وهى أن الشعير الليبى كان مرغوباً فى انكلترا فى ذلك الوقت وخصوصًا فى صناعة البيرة حيث كان ذلك الشعر بمثابة نوع خاص يستعمل فى استحضار البيرة لجودته . وإليكم بعض المعلومات الهامة عن حركة التصدير الليبية فى عام ١٨٥٠ التى نقلناها عن كتاب «La Regence de Tripoli» .

الإنتاج المحلى :

الحبوب	٢١٢٫٧٠ هكتوليتر	ثمنها بالفرنكات ١٫٤٩٦٫٠٠٠
المواشى	١١٫٧٨٨ رأسًا	« « ٤٠٨٫٠٠٠
الزيت	١٫٣٧٥٫٨٠٠ كيلو غرام	« « ٧٤٢٫٠٠٠
الزبدة «السمن»	٤٦٠٫٠٠٠ « « «	« ٤٠٦٫٠٠٠

بضاعة كانت تجلب من أواسط افريقية وتصدر :

العبيد	٢٧٠٨ رءوس	ثمنها بالفرنكات ٧٥٩٫٠٠٠
العاج	٧٧٫٠٠٠ كيلو غرام	« « ٧٥٤٫٠٠٠
مستحضرات الذهب (الخام)	١٠٩٫٠٠٠ غرام	« « ٣٦٠٫٠٠٠

وهناك بضاعة أخرى كانت تصدر مثل الصوف والبلح والصابون وريش النعام والسنامكى ولكن ذلك التصدير لم يكن ذا أهمية . وكان مجموع قيمة الصادرات عام ١٨٥٠ يزيد على ست ملايين من الفرنكات « كان يساوى الفرنك فى تلك الأيام أربعة قروش صاغا أو ما يقارب ٢٠ ليرة عسكرية فى يومنا هذا » .

ولقد جاء فى تقرير القنصل الهولاندى فى طرابلس أن ٣٧٠ سفينة دخلت ميناء طرابلس عام ١٨٥١ وأفرغت بضاعة يساوى ثمنها ١٥٣٬٩٤٨ ليرة تركية وأخـذت بضاعة قيمتها ١٤٥٬٤٧٧ ليرة تركية وفى عام ١٨٥٢ دخلت ميناء طرابلس ٣٩٤ سفينة وأفرغت بضاعة قيمتها ١٧٨٬٨٧٦ ليرة تركية وشحنت بضاعة قيمتها ١٥٠٬٨٩٢ ليرة تركية .

وقدأورد الـكاتب « ب. جيرارد » فى كتابه عن طرابلس عن الصادرات والواردات لعام ١٨٩٨ ما يلى :

الواردات	من انـكلترا	٢٬١٦٨٬٠٠٠	فرنك
	من فرنسا	١٬٨٠٠٬٠٠٠	«
	من تركيا	١٬٦٠٠٬٠٠٠	«
	من إيطاليا	١٬٢٠٠٬٠٠٠	«
	من النمسا	٥٥٠٬٠٠٠	«
	من ألمانيا	٣٠٠٬٠٠٠	«
	من الجزائر وتونس ومراكش	٣٠٠٬٠٠٠	«
	من بلجيكا	٢٥٠٬٠٠٠	«
	من بلدان أخرى	٨٧٢٬٠٠٠	«
	المجموع	٩٬٠٤٠٬٠٠٠	«

الصادرات : إلى انـكلترا ومالطا ٣٬٥٠٠٬٠٠٠ فرنك

« فرنسا ٣٬٠٦٧٬٠٠٠ فرنك (يدخل مبلغ ١٬٨٠٠٬٠٠٠ فرنك ثمن ريش نعام)

الصادرات :			
	إلى أمريكا	٨٠٠٬٠٠٠	فرنك
	« تركيا	٥١٧٬٠٠٠	«
	« الجزائر	٢٧٥٬٠٠٠	«
	« تونس	٢٤٧٬٠٠٠	«
	« إيطاليا	٢٠٠٬٠٠٠	«
	« بلدان أخرى	١٬٣٥٠٬٠٠٠	«
	المجموع	٩٬٩٥٣٬٠٠٠	«

وهكذا نرى أن قيمة الصادرات تزيد على قيمة الواردات فى ذلك العام بما يزيد ٩٠٠٬٠٠٠ فرنك .

لقد أدى تأخر تجارة القوافل إلى نقص تدريجى فيما يختص بمعدل الصادرات والواردات ، ولكن كانت هناك بعض البضائع الضرورية تستورد وتصدر من ليبيا واليها إلى بلاد متنوعة فى الأعوام التى تلت ١٨٩٨ . أما فيما يختص بالواردات ، فإنه حتى عام ١٩٠٩ كانت إيطاليا تأتى فى المرتبة الرابعة بعد انكلترا وفرنسا وتركيا ، أما فيما يختص بالتجارة العمومية فإن مرتبتها كانت السادسة .

كانت الصادرات والواردات مع انكلترا تقوم بها السفن المؤجرة والمعدّة لذلك . وكان الشعير هو البضاعة الرئيسية المصدرة الذى كان يشحن إلى مينائى « ليث » و « هول » . وكانت الحلفاء تشحن إلى « لندن » و « ليفربول » و « چرمبسبى » و « سندرلند » .

وكانت أهم أنواع البضائع المستوردة أربعة هى : الأدوات المصنوعة ، والأدوات الحديدية ، والشاى ، والأدوات الطبية . وكانت الأرقام التقريبية

للصادرات والواردات فى السنوات القليلة قبل الاحتلال الإيطالى كما يلى :

الواردات	من المملكة المتحدة	٩١٬٠٠٠	ليرة تركية
الصادرات	للملكة المتحدة	١٣٥٬٠٠٠	« «

كانت شركة البواخر الإيطالية تنقل البضائع التى تشحن وتستورد من تركية وإليها ، وكانت هناك باخرة تركية تدعى « المحروسة » تقوم بهذا العمل.

وكانت الواردات المجلوبة من استانبول وسالونيك« التى كانت آنذاك بأيدى الأتراك » هى: الدقيق والحبوب والزبدة «لاستهلاك الجيش» والأدوات الحديدية والمنسوجات .

وكان أهم الصادرات هى الحصر بأنواعها ، والحناء والسمن ، والفواكه الحمضية وبعض المنسوجات المحلية .

متوسط الواردات :	٦٥٬٠٠٠	ليرة تركية
متوسط الصادرات :	٥٧٬٧٦٠	« «

أما المواصلات والحركة التجارية مع مالطا فكانت تقوم بها شركة بواخر إيطالية وخط بواخر مالطى ، ولم تكن تلك المواصلات منظمة ولكنها كانت مستمرة .

وكانت الصادرات لمالطا هى : المواشى، والبيض ، والفواكه ، والدواجن وكانت مالطا تُصدّر بدل ذلك الفحم والكاز. أما أرقام الصادرات والواردات فكانت تشملها أرقام المملكة المتحدة .

ومهما كان المستورد من ألمانيا وبلجيكا والنمسا فإن البواخر كانت تمرّ

على مالطا بطريقها وتشحن ما تصدّر تلك الجزيرة لليبيا .

كانت ألمانيا تصدر الأدوات الزجاجية والحديدية والمنسوجات والأدوات الفخارية ، بينما كانت بلجيكا ترسل الكبريت والمنسوجات . أما النمسا فكانت تصدر السكر والمشروبات والمنسوجات والخشب .

وكانت صادرات ليبيا للبلدان المذكورة آنفاً هى : الشعير ، والحلفاء ، والأثمار الحمضية وبعض أنواع من محصولات البلاد الرئيسية ولكن بكميات قليلة . وكانت أرقام الاستيراد والتصدير كما يلى :

الواردات :	١١٠٬٠٠٠	ليرة تركية
الصادرات :	٦٬٤٣٦	« «

وكانت تونس هى التى تقوم بنقل البضائع المصدرة لفرنسا من ليبيا مثل الدواجن ، والبيض ، والحناء ، والطيور الحيّة « السُّمَّان » والأثمار الحمضية ، وريش النعام . وكانت تستورد ليبيا من فرنسا الدقيق ، والنخالة والسكر ، والشاى ، والحرير ، والمنسوجات .

الواردات :	٦٤٬٤٠٠	ليرة تركية
الصادرات :	٤٨٬٠٠٠	« «

كانت حركة النقل التجارية مع مصر تقوم بها شركات بواخر إيطالية والشركة المالطية أيضاً . وكانت الصادرات الرئيسية لمصر هى المواشى ، والحناء ، والحصر . أما الواردات فكانت الأرز ، والسكر ، والصوف .

متوسط الواردات :	١١٬٦٨٠	ليرة تركية

متوسط الصادرات	١٣٬٩٦٠	ليرة تركية

كانت هناك خطوط بحرية منظمة بين موانئ ليبيا ، وتونس ، وصفاقس وسوسة ، ومنستير ، وقابس ، وجربة تعبرها بواخر فرنسية وإيطالية . وكان يُصدر لتونس الحناء ، والبيض ، والحصر بأنواعها ، والأثمار الحمضية ، والفضة المشغولة وبعض المنسوجات المحلية . أما الواردات فكانت التبن ، والزيت ، والصابون ، والتمر ، والطواقى وبعض المنسوجات .

الواردات :	١٨٬٠٠٠	ليرة تركية
الصادرات :	١٢٬٨٠٠	« «

كانت أهم الموانئ الإيطالية التى تشتغل بالتجارة مع ليبيا هى: جنوا ، أمّا النقل البحرى فكانت تقوم به بواخر إيطالية . وكانت هذه السفن تُستأجر من قبل « بنك دى روما » أما الصادرات فكانت : الدواجن وشرانق القز « والسانزا[١] » التى كانت تستعمل فى صناعة الصابون ، وكذلك الجلود المدبوغة والخام ، والعظام وبقايا المعادن . أما الواردات من إيطاليا فكانت تشمل الدقيق ، والقهوة ، والأدوات الطبية ، والنبيذ ، وقطع الحرير ، والمنسوجات ، والأدوات الحديدية ، والورق «الپاستا» و«المكرونة بأنواعها» والبطاطا ، والمأكولات ، والموبيليا ، والرخام ، وحجارة البراكين . ونورد هنا الأرقام للمقارنة بين الواردات والصادرات مع إيطاليا لأهميتها :

---

(١) ما تبقى من الزيتون بعد عصره والزيت القذر .

السنة	الواردات بالليرة تركية	الصادرات بالليرة تركية
١٩٠٥	٢٦٬١٢٠	١٢٣٬٥٢٠
١٩٠٦	٢٢٬٨٠٠	١٥٨٬٠٤٠
١٩٠٧	٤٢٬١٦٠	١٢١٬٠٤٠
١٩٠٨	٢٧٬٠٤٠	١٢٨٬٨٤٠
١٩٠٩	٦٤٬٢٤٠	١١٧٬٣٦٠
١٩١٠	١٢٨٬٠٠٠	١٧٦٬٠٠٠

وعلى العموم فـكان معدل تعداد الواردات من جميع البلاد فى السنين الأخيرة القليلة حوالى ٤٧٥٬٦٨٠ ليرة تركية والصادرات ٣٧٩٬٤٠٠ ليرة تركية . وكان سبب النقص كما ذكرنا سابقاً يرجع إلى توقف حركة القوافل لأواسط أفريقية حيث صار التجار فيما بعد يحبذون النقل على طرق المواصلات التى أنشأتها فرنسا وبريطانيا فى الممتلكات المحاذية لليبيا .

ونلاحظ أن بعض المواد كالملح والعاج المار ذكرهما فى بداية هذا الفصل كانا يصدران للخارج ولكننا لم نجملهم تحت أى جهة مخصوصة حيث لم يكن هناك أى بيان يرينا البلاء التى كانت تستورد ذينك النوعين من البضاعة .

الفصل العشرون

الرحالة والرواد

إن هذا الفصل خارج عن موضوع كتابنا ولا يلقي أي شعاع على العهد العثماني الثاني في ليبيا ، لكنه يبين لنا أعمال أولئك الرواد والرحالة والعلماء الطبيعيين الذين زاروا هذه البلاد أيام ذلك الحكم ، ويبين لنا ما قام به أولئك الرحالة من أعمال جريئة يستحقون عليها الشكر والتقدير ، والذي قاموا بخدمات جُلّى للعالم والطبيعة . ونورد هنا أسماء أولئك الأشخاص حسب جنسياتهم كما يلي :

البريطانيون :

كانت أول محاولة لجوب ليبيا قام بها «وليم لوكاس» «Wiliam Lucas» ذلك الرائد والرحالة القدير الذي اقترح على «جمعية ترقية اكتشاف دواخل افريقية» التي كان هو أحد أعضائها بأنه يجب قيام بعثة تقطع « الصحراء » . ومن عام ١٧٩٩ حاول تنفيذ الفكرة بنفسه على طريق « فزان » ولكنه عند ما وصل إلى مصراتة غيّر خطته وتنحّى عنها لمعاداته لأهالي تلك البلاد . ولقد ذكر محاولته تلك في كتابه « تقارير عن الاكتشافات والسياحة في افريقية » .

وفي ٧ ابريل سنة ١٨١٩ قام الدكتور «چوزيف ريتشي» Dr. Joseph Ritchie و « الكابتن جورج فرانسيس ليون » Capt. George Francis Lyon متنكرين كعرب وبدأوا رحلتهم من طرابلس بقصد الوصول إلى السودان ،

وذهبوا من طريق « غريان » ـ « بنى وليد » ـ « سوكنة » ـ « سبها » و « مرزوق » وهناك فى « مرزوق » حاقت بهم الصعاب والعقبات التى منعتهم عن المضىّ فى رحلتهم . وفى ٢٠ نوفمبر سـنة ١٨١٩ توفى « الدكتور ريتشى » وبقى «الـكابتن ليون» يتجول بمفرده فى فزان متقدمًا نحو القطرون حيث قام هناك ببعض الأبحاث الفلـكية والطبيعية وجمع معلومات تاريخية واقتصادية ، كانت مع تلك الأبحاث التى قام بهـا صديقه المتوفى ذات قيمة وأهمية عظمى أُدّيت بخصوص ذلك القسم من العالم .

وفى عام ١٨٢١ ، ١٨٢٢ قام « فردريك وليام بتشى » على ظهر الباخرة « أدڤنتشر » بعمل تاريخى بتخطيط البحار والأنهار ، وكذلك بعمل خارطة جغرافية عن الساحل الليبى من طرابلس إلى درنة ، وكان عمله هذا متقناً للغاية وكان أخوه هنرى يساعده فى رحلته تلك . ولقد جمع الأخير بعض اللوحات الفنية التى رسمها بنفسه . وفى عام ١٨٢٦ نشر اتقريراً مهماً عن « سيرتـكا » وبرقة تحت عنوان « الاجراءات المرعية لرحالة ساحل افريقية الشمالى » .

وفى عام ١٨٢٢ أرسلت « جمعية لنـدن الإفريقية » بعثة لتقوم بمحاولة للوصول إلى أواسط افريقية عبر طرابلس ومنطقة فزان،وعين دوكسون دنهام رئيساً لتلك البعثة. وكان أعوانه ومساعدوه هما الدكتور وولتر أودنى والـكابتن هاف كلاپرتون . وقد تركوا طرابلس فى فبراير سنة ١٨٢٢ ، وبعد اجتيازهم فزان وغات وصلوا إلى كوكا عاصمة برنو . ومات الدكتور أودنى عنـد ما قام بمحاولة مع الـكابتن كلاپرتون للوصول إلى نيجر . واتصل بعد ذلك الـكابتن كلاپرتون مع الميجور دنهام الذى كان قد اكتشف بمفرده نهر « شيارى »

ورجع الإثنان إلى طرابلس عام ١٨٢٥ . وكتب هاذان الرحالتان تقريراً عن رحلتهما تحت عنوان « رواية عن رحلات واكتشافات فى شمال وأواسط افريقية عام ١٨٢٢ ، ١٨٢٣ ، ١٨٢٤ » .

ترك چوردون الكساند لينچ طرابلس فى أوائل عام ١٨٢٤ وقام برحلة إلى غدامس حيث وصل هناك فى ١٣ نوفمبر من العام ذاته . وكان أول أوروبى يدخل المدينة فى العصر الحديث. وتابع رحلته هذه من غدامس يوم ٢٢ ديسمبر من العام ذاته متخذاً الطريق إلى عين صالح . وفى يوم ١٨ اغسطس سنة ١٨٢٦ نجح فى النهاية فى الدخول إلى تمبوكتو تلك المدينة الصحراوية الغامضة التى لم تطأها قدم أوروبية من ذى قبل . ولقد قتل لسوء الحظ لينچ على بعد مسافة قصيرة خارج المدينة ليلة ٢٦ سبتمبر سنة ١٨٢٦ .

وجاء جيمس ريتشاردسون لطرابلس من مراكش فأخذ طريق يفرن ـ سيناوين . وقد عنى كثيراً بحياة سكان الكهوف[1] بالجبل. وفى اليوم الخامس عشر من شهر ديسمبر سنة ١٨٤٥ وصل إلى غات وتابع سيره منها إلى مرزوق ورجع من هناك عن طريق « سوكنة » ومصراتة . وكتب تقريراً وافياً عن هذه الرحلة دعاه «رحلات فى أراضى الصحراء الكبرى عام ١٨٤٥ ، ١٨٤٦» وقد هلك هذا الرحالة المشهور بحبّه لإفريقية بمرض أصابه عند ما قام برحلة ثانية لنفس تلك الجهات مستصحباً معه « بارت و « أوفرويج » الألمانيين .

---

(١) معروف لدينا أن سكان الجبل وعلى الأخص سكان غريان كانوا يسكنون البيوت المحفورة فى جوف الأرض « ٦ × ٦ × ٦ » من الأمتار المكعبة ، والذين ما زالوا يسكنونها حتى اليوم .

وفى عام ١٨٤٩ قام دكسون برحلة إلى جنوب غرب طرابلس الغرب وكتب تقريراً مهمّا عن غدامس . وبعده بعشرين عاماً أى فى عام ١٨٦٩ قامت « الكسندرا تين » تلك الفتاة الغنيّة الجميلة التى مات والدها الإنكليزى فى صغرها وفى عام ١٨٦٢ ، ١٨٦٣ كانت قد قامت برحلة مع أمها الهولندية البارونة « ڤون كابلّين » للجهات النائية فى السودان المصرى ، والتى لاقت حتفها على أيدى « التّوارق » جنوبى مرزك ولقد وصفت قصة مقتلها مع أمها الهولاندية من قبل أحد الخطباء فى اجتماع عقد فى « الجمعية الجغرافية الإيطالية » يوم ١٥ ديسمبر سنة ١٨٩٩ .

قام سوانسون كوبر برحلة لمنطقتى « ترهونه » و « مسلّاتة » عام ١٨٧٧ وفى عام ١٩٠١ أرسلت بعثة برعاية « متحف التاريخ الطبيعى » لفزان برئاسة « ى . دودسون » الذى وصل مرزك بطريق لم تطأها قدم أى رحالة من قبل .

وفى عام ١٩٠٦ قام هانس فيشر برحلة فى كل أنحاء طرابلس الغرب مبتدئاً من طرابلس حتى « تومّو » بعد أن جمع معلومات هامة عن فزان . ولقد نشر بعد ذلك كتابا تحت عنوان « عبر الصحراء » . وفى عام ١٩٠٨ قامت بعثة مدعمة من قبل « المؤسّسة اليهودية للأراضى » لدراسة إمكان إنشاء مستعمرات زراعية فى برقة وكان من بين أعضاء تلك البعثة « جريجورى » العالم الجيولوجى و « تروتّر » الخبير الزراعى و « مدلتون » الميكانيكى والمستشرق « سلوش » .

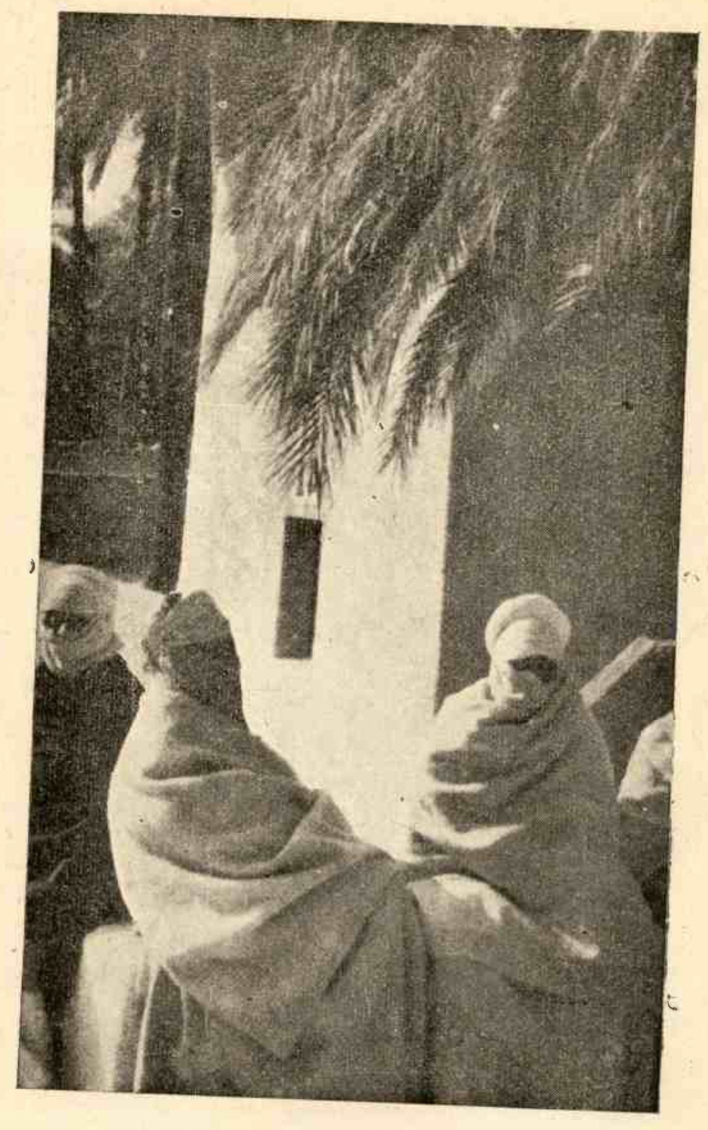
الألمان :

كان أول رحالة ألمانى زار ليبيا هو « فريدريك هورنمان » الذى اتبع

خطة رسمت من قبـل « الجمعية اللندنية الإفريقية » تلك الخطة التى كان على هونرمان أن يصل بموجبها إلى منطقة برنو من الشاطئ بعد قطع فزان . ولقد ترك « هونرمان » القاهرة فى اليوم الرابع من شهر سبتمبر سنة ١٧٩٨ ومرّ بواحتى « سيوة » و « أوجلة » وبعد أن قطع الصحراء الليبية وصل إلى مرزك فى اليوم السابع عشر من نوفمبر وكان بذلك أول أوروبى فى العصر الحديث يدخل ذلك المكان . ومن هناك ذهب لطرابلس لكى يتأكد من أن تقاريره عن رحلته هذه قد أرسلت إلى لندن . ومن ثم تابع رحلته ثانية فى العاشر من شهر ديسمبر سنة ١٧٩٩ .وفى السادس من شهر ابريل سنة ١٨٠٠ أعلن من مرزك أنه ذاهب إلى السودان بروح عالية وبثقة فائقة فى نفسه.وقد نشر وصف رحلته هـذه من قبل « الجمعية اللندنية الإفريقية » تحت عنوان « رحلة ف . هـ من القاهرة إلى مرزك » .

لقد اشترك « هنريخ بارث » مع ألمـانى آخر يدعى « ا . أوڤروج » فى بعثة « ج . ريتشاردسون » إلى بلاد أواسط السودان بعـد رحلة استطلاعية فى منطقة « الجبل » بطرابلس . ولقد وصل الرحالة الثلاثة إلى مرزك بطريق جديدة . وبعد أن قطعوا واحات غات ، دخلوا منطقة أخرى أبعد منها . وقد ذهب « بارث» من هناك إلى واحات « أغاديس » ميمّمًا جهة الجنوب ووصل «بارث» و « اڤروج » إلى منطقة «برنو » عبر طرق مختلفة .

وفى اليوم الثانى من شهر ديسمبر سنة ١٨٥١ كان « بارث » قد وصل إلى « كوكا » ومنها سافر ووصل إلى « اونجو روتوا » حيث حضر آخر ساعات «جيمس ريتشاردسون» وفى ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٥٢ مات«اڤروج »



هـ . دوفيري فى كتابه « طوارق الشمال »

من مرض أصابه . وفى أوائل عام ١٨٥٤ تلاقى « بارث » مع الرحالة الألمانى « ى . ڤوجيت » الذى كان قد أُرسل للبحث عن بعثة ريتشاردسون . ولقد قتل « ڤوجيل » بأمر من سلطان « واداى » . وترك « بارث » تقريراً مفصلاً عن ذكرى هـــذه الرحلة تحت عنوان « رحلات وأبحاث فى شمال وأواسط افريقية من يناير سنة ١٨٤٩ إلى عام ١٨٥٥ » .

وفى يوم ١٢ فبراير سنة ١٨٦٢ قام رحالة آخر يدعى « مورتز بورمان » برحلة من بنغازى للبحث عن « ڤوجل » ماراً بواحات « اوجلة » و « زلّة » ووصل مرزك . وبعدها سار إلى واحة « واو » و « الوادى الشرقى » ومن ثم تابع سيره إلى جهة « واداى » وبعد محاولة غير ناجحة من اختراق تلك الجهات ، قام بمحاولة أخرى ولـكنه جابه نفس الطالع الذى واجهه « ڤوجل » من قبله واغتيل بأمر السلطان .

وقام « جيرهارد رولفس » برحلة فى ليبيا عام ١٨٦٤ و ١٨٦٥ ومرة أخرى عام ١٨٦٩ . ورجع لبرقة عام ١٨٧٨ مصمماً على القيام برحلة أخرى إلى « جغبوب » و « الـكفرة » و « واداى » مع « ستيكر » و « شيلّاغ » ولـكن كراهية بعض أهالى « الزويّا » و « الـكُفرة » له منعته من ذلك .

وعلينا أن نذكر هنا أيضًا الرحالة الآتين :

١٨٦٩ « ناتشنجال » من طرابلس إلى السودان .

١٨٧٥ « البارون ڤون مولتزان » من طرابلس إلى الدواخل .

١٨٧٦ « ڤون بارى » من طرابلس إلى غات .

١٨٨٢/١٨٨٣ « فراوند » و « شونيفورث » ساحل « مرمريكا » .

الفرنسيون :

فى عام ١٨٢٤ أعد «جين ديمون با كو» وهو غير عالم عن رحلة الإخوان « بتشى » بعثة كان أحد أعضائها المستشرق الألمانى « ف. موللّر » وسار حسب خطة رسمتها «الجمعية الجغرافية بباريس» وغادرت تلك البعثة الإسكندرية فى اليوم الثالث من شهر نوفمبر من ذلك العام. وزارت «السلوم» و «طبرق» و «بومبا» و «درنة» ومن هناك تقدمت البعثة بصعوبة حتى وصلت «شحّات» و « اجدابية » ومن هذه النقطة تحولت البعثة حتى وصلت واحتى « اوجلة » و « مرادة » ورجعت بطريق واحة « سيوة » .

وبعد حوالى ثلاثين عاماً (١٨٥٦) ذكر أن الكابتن « دى بونيمان » قام برحلة فى ليبيا ووصل خلالها حتى غدامس .

وفى شهر مايو سنة ١٨٥٩ قام « هنرى دوڤيرى » عند ما كان لم يتجاوز التاسعة عشرة من عمره وأخذ على عاتقه رحلة طويلة كانت ذات فائدة مثمرة. فقام من الجزائر عبر « بسكرة » و « غدامس » و « غات » و « مرزك » و « زويلة » ومن ثم عرج على طرابلس فوصلها عام ١٨٦١ . وكانت نتيجة هذه الأبحاث أن نشرت فى مجلّد دعى « رحلة الصحراء » وبمجلد آخر « توارق الشمال » وبعد رحلة « دوڤيرى » هذا، أرسلت فرنسا بعثة علمية طبيعية إلى غدامس وكان من بين أعضاء تلك البعثة « القومندان بريتشى » « والكابتن بوليجنا » « والدكتور هوفمان » والميكانيكى « فاتون » .

وخلال عامى ١٨٧٤ ـ ١٨٧٦ أرسلت فرنسا لليبيا بعثة «دورنوا دوپير» وزار « الكولونيل مونتوى» عام١٨٩٦ ليبيا . وفى السنة ذاتها قام « المركيز

دى مور » الذى اختط زيارة « غات » من تونس والذى قتله التوارق وهو فى قافلته بجوار « متشيجى » .

وفى عام ١٩٠١ وعام ١٩٠٣ قام « دى مالثوى سيوپل » الذى كان معيناً من قبل حكومته وكان حائزاً على ترخيص من سلطان تركيا فجال خلال ليبيا ونشر تقريراً هاماً عن تلك الرحلة .

وعلينا أن نذكر هنا أيضاً الرحلات التى قام بها « ميلون » و « بييس » و « فراود » و « ايدو » بين عام ١٨٠٠ ــ ١٩٠٠ والتقرير الذى قدمه العالم الجيولوجى « پرڤنكوير » الذى كان تابعاً « للبعثة التركية الفرنسية التابعة لمنطقة الحدود التونسية الطرابلسية » .

الإيطاليون :

خلال عام ١٨١١ ، ١٨١٢ ، قام الدكتور « ا . سرڤيللى » (بوصفه طبيباً بالبعثة المرسلة إلى برقة من قِبَل يوسف القره مانلى) برحلة على ساحل سرت وبرقة . وكتب مذكرات عن رحلته بالفرنسية نشرت فيما بعد من قِبل الجمعية الجغرافية بباريس . وبعــده بأربع سنوات ، قام نطاسى آخر يدعى « ب . ديلّا شيلّا » وكان ملحقاً كطبيب بالبعثــة التأديبية المرسلة من « يوسف القره مانلى » ضد ولده الثائر فى بنغازى . كتب ذلك النطاسى تقارير مهمة عن مناطق « بنغازى » « شحات » و « درنة » و « طبرق » .

وهناك رحالة غير من ذكرنا « كالأرتشديوك سلفاتورى الطوسقانى » (١٨١٤) و « ج كورا » (١٨٧٥ و « بتّالى » (١٨٨٠) و « كاميريو » (١٨٩٠) الذين جالوا ليبيا وكتبوا تقارير غير ذات أهمية تذكر .

وهناك صحفى يسمى « بون فانتى » يقال إنه فى عام (١٨٨٤) قام برحلة إلى « طرابلس » ـ « لاچوس » . وأن هنالك كثيراً من الشك يحوم حول هـذه الرحلة ، حتى بين أبناء جلدته فإنهم يشكّون ويتساءلون هل حقيقة قام « بونفانتى » بتلك الرحلة أم لا . وهناك كثير من الرحالة الإيطاليين ، قاموا فى أوائل القرن الحالى بجولات فى ليبيا لم نذكرهم هنا حيث انه فى ذلك الوقت كانت البلاد تكاد تكون معروفة ، وكذلك لأن تقاريرهم لم تكن ذات أهمية .

ونختم هذا الفصل من كتابنا بمقالة مترجمة لكاتب إيطالى جرىء[1] قال ما نصه :

« هناك ملاحظة ليس فيها شىء من المداهنة لنا ، وليست مشجعة فى »
« نفس الوقت.وإنه بالرغم من كثرة الخوض فى الكلام عن طرابلس الغرب »
« هنا ـ فى إيطاليا ـ خلال العشرين عاماً الماضية، وبالرغم عن قرب تلك البلاد »
« منا ، وبالرغم عما لتلك البلاد من أهمية لنا من الوجهة التجارية وصلتها »
« القديمة بالنسبة لنا، فإن عدد الإيطاليين الذين جعلوا منها موضوع رحلاتهم »
« ودراستهم قليل جداً مع الأسف الشديد بالنسبة للألمان والانكليز والفرنسيين. »
« إننا نضيع أنفسنا بالكلام ، بينما أولئك قد أنجزوا أثناء مداولاتنا أعمالاً »
« عظيمة . لقد جلبنا خلال هـذه المداولات الظن على أنفسنا بأننا طامحون »
« للفتوحات أكثر من الجميع . وهكذا فإننا لم نقم بأى شىء » .

---

(١) ف . مونوتيللى فى كتابه « طرابلس الغرب » فى نهاية الفصل الأول .

ملحق خاص

ليبيا بين عهدين (١٩١١ – ١٩٤٦)

رأينا مما تقدم حالة ليبيا وما كانت عليه من النواحى السياسية والاقتصادية والعمرانية ، وتتميماً لما تقدم رأيت أن أبيّن للملأ ما كانت عليه حالة ليبيا فى عهد الإيطاليين وفى العهد الأخير بعد ما تقلص عنها ظل الاستعمار الفاشستى الإيطالى فأقول :

بدأ الحكم الإيطالى فى ليبيا فى اليوم الخامس من شهر اكتوبر من عام ١٩١١ بدخول الجيش الإيطالى لمدينة طرابلس الغرب وانتهى ذلك الاستعمار الغاشم فى اليوم الثالث والعشرين من شهر يناير سنة ١٩٤٣ . وهكذا نرى أن إيطاليا بسطت ظلها على هذه البلاد الآمنة إحدى وثلاثين عاماً وثلاثة أشهر وأسبوعاً واحداً .

إن نوع الحكم الإيطالى فى هذه البلاد معروف لدى العام والخاص ، ولعمرى انه لا يوجد طفل هنا لم يسمع بذلك الحكم الجائر ، بل إن العالم أجمع قد علم بما كان دائراً من الأعمال الوحشية فى هذه البلاد . وحسبنا أن نعلم أن أكثر من ثلثى ذلك الحكم مضى بحروب قام بها أهل البلاد مجاهدين حاملين لواء الحرب ضد جنود الاحتلال والإدارة الإيطالية من الساحل الليبى إلى الدواخل . ومن منا نسى أبا الشهداء السيد عمر المختار ؟؟! من منا نسى الشيخ سليمان باشا البارونى ورمضان بك السويحلى ؟ ، أين احمد بك المريّض والشيخ محمد سوف ، والسيد محمد بن عبد الله البوسيفى ، والحاج محمد فكينى ، واحمد سيف

النصر؟؟ من منا نسى جهاد مختار بك كعبار، ومحمد بك فرحات، والبشير بك السعداوي وغيرهم . وأخيراً، وليس آخراً، وفى تلك الأيام السوداء وفى يومنا هذا، من منّا نسى أو تطرق النسيان إلى فكره بخصوص ماقام به الأمير المحبوب السيد محمد إدريس السنوسى وعزام باشا ؟؟؟ !!!

من منّا نسى معارك الجبل الأخضر وقائد جيوشها ؛ من منّا نسى معارك أورفلّة ومصراته والجفارة والجبل، وحتى معارك مدينة طرابلس وسوانيها . .

من منّا نسى أن تعداد سكان ليبيا كان يزيد على المليونين نسمة . . . فأصبح بعد تلك الحروب وبعد الجهاد والتشريد لا يزيد على المليون !!

نعم لقد لاقى الكثيرون من الأهالى حتفهم مدافعين عن أراضى آبائهم وأجدادهم، وقضى آخرون معظم حياتهم داخل السجون والمعتقلات التى كانت المعاملة بين جدرانها بعيدة كل البعد عن القوانين البشرية .

إذا كان هنالك جهاد يمكن أن يُسطّر فى صفحات التاريخ فلعمرى إن جهاد عرب ليبيا يحتل الصفحات الأولى من ذلك التاريخ، ولكن شاءت القوة الغاشمة أن تتغلب على الحق ... فاستتب الحكم نوعاً ما بعد ذلك للايطاليين فأخذوا على عاتقهم إدارة البلاد حسب أهوائهم وأغراضهم . فبذروا بذور الخلاف والشقاق بين الأهلين وبقوا ماضين فى سياستهم تلك، دائبين على سدّ كل منفذ يحاول الأهلون ولوجه لتنسم ريح الحرية . .

كان استعمارهم غريباً وفريداً فى نوعه، فلم يسمحوا لسكان البلاد بتعلم الصناعات الثقيلة أو العمل فيها، أو دخول الوظائف العليا، وحرموا الطلاب

من ارتياد المدارس الثانوية . وكان محظوراً على الأهالى تأسيس النوادى أو الاجتماعات الوطنية ، بل وكان محظوراً عليهم دخول الأماكن العامة التى كان يرتادها الإيطاليون . وهل لى أن أقول إنه كان من الصعب عليهم القيام بأى شىء يستطيع الإيطالى أن يقوم به ولو كان ذلك العمل مسح الأحذية.. وكان إذا تنافس إيطالى وليبى على ذلك العمل كان الإيطالى ـ وبدون أى شك أو مبالغة ـ هو المفضل للجلوس على قارعة الطريق بصندوقه الخشبى لمسح أحذية المارة (ولا فخر) .

لقد هاجر الكثير من أولئك الإيطاليين إلى ليبيا بقصد الاستعمار والمعيشة ، وكانت حكومتهم تشجعهم على الهجرة بشتى الوسائل المادية والمعنوية . فكانت تقطعهم الأراضى التى كانت الحكومة تستعمل الكثير من الوسائل فى الحصول عليها من السكان الأصليين . فكانت تشترى الأرض بثمن بخس دراهم معدودة، أو كانت تحجز أرض الليبى بعد أن تزج به فى السجن بكونه من المشاغبين عليها أو على حكمها . . . الخ . ولقد كان ردّ فعل ذلك العمل القاسى والحكم الجائر أن هاجر كثير من السكان هاربين مع عائلاتهم للأقطار المجاورة ، فدخلوا تونس ومصر واستوطنوهما ، وذهب قسم منهم إلى الشام وتركيا لينعم فيما بقى له من عمره بقسط من الراحة فى ربوعهما ، ولقد رجع بعض منهم بعد أن زال كل أثر لظلّ تلك الحكومة . والذين بقوا فى خارج البلاد والذين لا يزالون فى ديار الهجرة معظمهم من الأشخاص البارزين وذوى المكانة العلمية والسياسية، نذكر منهم الذين يشتغلون مستشارين لجلالة الملك ابن السعود وهم خالد بك القرقنى ونورى بك السعداوى وبشير بك السعداوى . وفى سورية

رجال من ذوى العلم يشغلون مراكز عالية في وزارة المعارف السورية مفتشين ومعلمين ، وكثير منهم فى شتى الوظائف المالية والإدارية والفنية . وكذلك فى تركيا عدد غير قليل فى شتى الوظائف العسكرية والإدارية والفنية ومنهم الجنرالية والأطباء والإداريون .

من المشاهد أن البلاد نمت من الوجهة العمرانية والزراعية وبدت بشكل جميل ، ولكن علينا أن نتساءل « لمن كان ذلك العمران وعلى حساب من يا ترى ؟؟ » لقد كان عمران الإيطاليين لهم ، وكان الليبى هو الذى يدفع الثمن . وكان الحجر الأساسى فى بنيانهم من جماجم السكان . ولم تكن المياه التى روى بها الإيطاليون حدائقهم ومزارعهم إلا من دم أبناء البلاد .

إن حكومة ذلك دأبها لا بُدَّ وأن تنهار ، فحكم الظالم ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة . ومرت السنون والأيام ودارت دائرة الحرب الأخيرة على الإيطاليين فتراجعوا فى حربهم فى ليبيا من العلمين حتى العقيلة ثم اندحروا إلى طرابلس ثم تونس وصقلية . واستسلم قائد عاصمة ليبيا فى صباح ٢٣ يناير سنة ١٩٤٣ للجنرال مونتجومرى ...

كان ذلك اليوم يوماً مشهوداً فى تاريخ ليبيا العصرى . لقد خرج أعيان البلاد وسكانها فى فجر ذلك اليوم يترقبون بزوغ شمسه بعد أن تحررت بلادهم وزال به عن قلوبهم كابوس الفاشستية . ودخل المدينة كل من كان قد لجأ إلى خارجها خوفاً من الغارات . لقد جاء جميعهم للاشتراك فى مظاهر الفرح والسرور — التى كانت تعلو وجوههم جميعاً — ومشاهدتها .

لقد ترقب الأهلون ذلك اليوم بفارغ الصبر . ولقد حدثنى الكثير من

ذوى الرأى فى البلاد أنه لو كان فى مقدورهم جلب الجنود البريطانية وسحبهم بالجبال لفعلوا ذلك . لقد قام الكثير منهم بمساعدة الحلفاء مساعدة فعالة . فكان منهم جنود يحاربون فى صفوف الجيش الثامن ، ذلك الفيلق الذى بنى أسسه سمو الأمير محمد إدريس السنوسى . وفى البلاد كان طابورهم الخامس يعمل وراء الجبهة فى مختلف النواحى . وكم من جنود الحلفاء وجدوا فى بيوت الأعراب ملجأ أميناً لهم ، وكم من طيار من طيارى الحلفاء وجرحاهم ضمدت جراحهم بأيدى الليبيين ، وكم من رجل قام كدليل ومعاون لرجال المخابرات البريطانية معرضين أنفسهم وأهلهم للهلاك فيما لو اكتشف الإيطاليون أعمالهم ...

وتشكلت بالبلاد بعد ذلك اليوم أول إدارة عسكرية بريطانية . وكانت هذه الإدارة على غرار الإدارات العسكرية فى شرق افريقية المحتلة والتى تخضع كلها للقوانين الدولية من حيث اعتبار البلاد أراضى عدو محتلة . ولقد أخذ القائمون بهذه الإدارة على عواتقهم تقديم كل مساعدة للسكان على اختلاف مللهم ونحلهم وألغيت بعض القوانين والأوامر السابقة التى سنّها الإيطاليون والتى لم تكن تتفق مع العدالة الإنسانية . وافتتحت المدارس وبعض الوظائف لكل طالب ولكل ذى أهلية وصار مسموحاً لهم بولوج ذلك الباب بعد أن كان مقفلاً فى وجوههم . وبدأت تظهر للوجود أُسُس ومعاملات كانت ضرباً من الخيال أثناء الحكم الغابر ، فسمح للأهلين بافتتاح النوادى الأدبية والرياضية ، وبتأسيس الأحزاب الوطنية وعقد الاجتماعات . وعلى وجه العموم انتعشت الحياة بمقياس كبير جداً عن ذى قبل . وكانت كل سنة تلى سابقتها أثناء هذا الحكم الأخير تكون خيراً من أختها . وإذا أردنا سرد الحقيقة المجردة وبدون أى شك

أصرح بأن مستوى المعيشة اليوم هنا يفوق مستوى المعيشة فى معظم أرجاء أوروبا بل وفى بريطانيا نفسها التى لم تتذوق للآن طعم رغيف الخبز الأبيض والتى لايسمح للمرء فيها بسوى غرامات قليلة من الزبدة والجبنة فى الأسبوع.
لقد عمل الولاة الذين هم رؤساء هذه الإدارة على سرعة تفهّم ضروريات الشعب وصارت تعقد الاجتماعات الاستشارية الواحد تلو الآخر للتفاهم والتشاور فيما يخص السكان ويهمهم وقد رأينا نتائجها فى مدة الثلاث سنوات وبضعة شهور بين عام ١٩٤٣ ـ ١٩٤٦ السبب المباشر فى تحسن الأحوال والمعيشة. فافتتحت المستشفيات وملاجئ الفقراء والجمعيات الخيرية لراحة السكان وضم فقرائهم.

وعلى غرار مجلس الوالى الاستشارى فى العاصمة، الذى كان يضم بين أعضائه ممثلين من جميع أنحاء البلاد، كان كل كبير متصرف فى المقاطعات الأخرى يعقـد مجلساً استشارياً مماثلاً لنفس الغرض فى مراكز مقاطعاتهم، وهكذا نرى أن الحـكم أصبح استشارياً بعد أن كان دكتورياً جافاً فيما مضى.

هذه هى الحالة فى طرابلس الغرب اليوم. أما فى برقة وحسب ما وعد به الأمير السيد محمد إدريس السنوسى من أنه لن تطأ قدم إيطالى بلاده بعد تحريرها فقد برّ بذلك الوعد وبها الآن الإدارة العسكرية كما هى فى طرابلس. ولتجدن السكان آمنين يقومون بعملهم ووظائفهم على الوجه الأكمل. وعهدت الحـكومة هنا وهناك بوظائف هامة للأهلين برهنوا خلال قيامهم بها على أنهم خليقون بها. وهكذا نرى الليبى فى جميع أنحاء البلاد لا يقل عن أى شخص آخر فى المقدرة وحسن الإدارة. وكما ذكرت آنفا فلو لم تـكن القوانين الدولية تحظر تغيير قوانين البلاد المحتلة لرأينا هنا تقدمًا يفوق ما رأينا حتى اليوم. وما علينا إلا الصبر للغد وإن غداً لناظره قريب.

وعلينا أن ننوه هنا بالجهود المحمودة التى قام بها ولاة ليبيا : فمنذ أن اجتمع وزراء خارجية الدول الأربع كان الولاة على اتصال دائم مع زعماء البلاد ومع المراجع العليا فى القاهرة ولندن وباريس ... ولقد سافر الولاة عدة مرات لبسط وجهة نظر أهل البلاد أمام المسؤولين بصورة يشكرون عليها غاية الشكر ، وكان ذلك عقب كل اجتماع يعقدونه مع زعماء البلاد .

أما والى برقة السابق « البريجادير كمنج » ـ الذى تقلّد فيما بعد منصب الوالى العام لبلاد العدو المحتلة فى افريقية الشرقية والشمالية ـ فكان كثير السفر إلى لندن وباريس لحضور اجتماع وزراء الخارجية بعد اجتماعاته بسمو الأمير السنوسى لبسط آراء شعب ليبيا لذوى الأمر .

ولا ننسى تصريح وزير الخارجية البريطانية فى اجتماع وزراء الخارجية بباريس من أن برقة لن ترجع ثانية لتُحكم من قبل الإيطاليين ومناداته باتحاد ليبيا وتشبثه بتصريحه باسطاً وجهة نظره ومدعمها بوعود بريطانيا للأمير محمد إدريس السنوسى ذلك التصريح الذى أخذ بعين الاعتبار .

وقبل أن نختتم هذا الكتاب علينا أن نشيد بما قام به زعماء البلاد أنفسهم من جمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم لا فرق بين عربى ويهودى ، ونادى الجميع بالاستقلال والاتحاد تحت زعامة أمير البلاد . ولقد كانت نتيجة ذلك أن سافر لمصر مؤخراً وفد تمهيدى لذلك الغرض ، ذلك العمل التاريخى الذى سنرى ثماره تجنى قريباً ، حقق الله الآمال إنه سميع مجيب ؟

طرابلس ٢٣/٧/٤٦ **يوسف العسلى**

الملحق الأول

حكام طرابلس الغرب

٧٩٥	ق. م.	القرطاجانيون
١٠٦	« «	الرومان
٤٥٠	ب. م.	البربر
٤٥٦	« «	الفندال
٥٣٣	« «	البيزنطيون
٦٤٢	« «	الخلفاء
١١٤٦	« «	الصقليون « الملك روجر الثانى »
١١٥٨	« «	الثورة العربية التى تبعها الحكم العربى
١٥١٠	« «	الاسبانيون
١٥٣٠	« «	مالطة
١٥٥١	« «	الأتراك « كورسير طورغود »
١٧١١	« «	القره مانليون
١٨٣٥	« «	العهد العثمانى الثانى
١٩١١	« «	الإيطاليون

الملحق الثانى

لائحة عامة عن حكام تركيا فى ليبيا حسب ترتيب حكمهم

الاسم	مدة الحكم
مصطفى نجيب باشا	١٨٣٥ ـ —
محمد رئيف باشا	١٨٣٥ ـ ١٨٣٦
طاهر باشا	١٨٣٦ ـ ١٨٣٧
حسن باشا الجاسمالى	١٨٣٧ ـ ١٨٣٨
عسكر على باشا	١٨٣٨ ـ ١٨٤٢
محمد أمين باشا	١٨٤٢ ـ ١٨٤٧
محمد رجب باشا	١٨٤٧ ـ ١٨٤٨
الحاج احمدعزت باشا	١٨٤٨ ـ ١٨٥٢
مصطفى نورى باشا	١٨٥٢ ـ ١٨٥٥
عثمان باشا	١٨٥٥ ـ ١٨٥٧
أحمد عزت باشا	١٨٥٧ ـ ١٨٦٠
محمود نديم باشا	١٨٦٠ ـ ١٨٦٦
على رضا باشا	١٨٦٦ ـ ١٨٧٠
محمد حالات باشا	١٨٧٠ ـ ١٨٧١
محمد رشيد باشا	١٨٧١ ـ ١٨٧٢
على رضا باشا	١٨٧٢ ـ ١٨٧٤
سامى باشا	١٨٧٤ ـ ١٨٧٥
عاصم باشا	١٨٧٥ ـ ١٨٧٦
مصطفى باشا	١٨٧٦ ـ ١٨٧٨
على كمالى باشا	١٨٧٨ ـ —
محمد صبرى باشا	١٨٧٨ ـ —
محمد جلال الدين باشا	١٨٧٨ ـ ١٨٧٩
« الدور الثانى »	
أحمد عزت باشا	١٨٧٩ ـ ١٨٨٠
محمد نظيف باشا	١٨٨٠ ـ ١٨٨٢
أحمد راسم باشا	١٨٨٢ ـ ١٨٩٨
نامق باشا	١٨٩٨ ـ ١٨٩٩
هاشم باشا	١٨٩٩ ـ ١٩٠٠
حافظ باشا	١٩٠٠ ـ ١٩٠٣
حسن حسنى باشا	١٩٠٣ ـ ١٩٠٦
رجب باشا	١٩٠٦ ـ ١٩٠٩
أحمد فوزى باشا	١٩٠٩ ـ —
إبراهيم باشا	١٩٠٩ ـ ١٩١١
أحمد راسم باشا	١٩١١ ـ —

الملحق الثالث

العملة والمقاييس والمكاييل

١ — العملة :

الجنيه التركى « الذهب » = ٥ مجيديات
المجيدى « فضة » = ١٠ قروش طرابلسى أو «عشرون قرشا صاغاً»
القرش الطرابلسى (½ فرنك) = قرشين صاغاً
القرش الصاغ = ٤٠ بارة
٥ بارات = ١ مليم تقريباً
المحبوب = «مقدار أربعة فرنكات أو أربعة ليرات إيطالية. ولم تكن هناك عملة مسكوكة أو ورق بنكنوت لهذا المقدار .

٢ — المكاييل مع ما يقابلها من المكاييل المترية :

ا — للاستعمال فى الأسواق

قنطار	= ٥١/٢٨٢	كيلوغرام	= ٤٠ أقة
الأقة	= ١/٢٨٢/٠٥	«	= ٤٠ أوقية
الأوقية	= ٣٢/٠٥١	غرام	= ١٠ دراهم
الدرهم	= ٣/٢٠٥	«	

ب — للصوف وريش النعام

الرطل = ٥١٢/٨١٦ غرام = ١٦أوقية

الأوقية = ٣٢/١٥١ «

ج — للفضة والحرير

الأوقية = ٣٠/٦٧٤٨ غرام = ١٠ دراهم

الدرهم = ٣/٠٦٧٥ « = ١٦ خروبة

الخروبة = ٠/١٩١٧ «

د — للذهب

المثقال = ٤/٦٠١ غرام = ٢٤ خروبة

الخروبة = ٠،١٩١٧ «

٣ — المقاييس :

ا — للقماش

الهنداسة = ٠،٦٨ من المتر

الذراع العربى = ٠،٤٩ « «

ب — للأراضى

الحبل = ٣٥ متراً = ٧٠ ذراعا ملكيا

الذراع الملكى = ٠،٥٠ متر

ج — للمسطحات

الجابية = ١٢٢٥ متراً مربعاً = ١٠٠ جدولة

الجدولة = ١٢/٢٥ « «

د — للاتساعات

١ — الحبوب

الويبة = ٢٩٠/٥٠ كيلوغرام = ١٤ مرطة

المرطة = ٢٠/٧٥ «

٢ — السوائل

الجرّة = ١٤/١٢٨ لتراً = ٦/١٢٥ غرّاف

الغرّاف = ٢/٣٠٧ لتر

حسن يوسف اللوشي

الملحق الرابع

مراجـع الـكتاب

عند كتابة هذا الـكتاب استعنا بالمراجـع الآتية :

CHEVALIERE E. TESTA «Notice Slatistique et Commerciale sur la Régence di Tripoli de Barbarie» 1856.

B. GIRARD «La Tripolitania» au Régence de Tripoli1899.

MINUTELLI «La Tripolitania» 1909.

BAEDECKER'S «Mediterranean» 1909.

HIAIA BEHAR «La Finaza» ī912.

CH. LAPWORTH «Libia and the New Itay» 1912.

Dr. G. ROLFH «Tripolitania» 1913.

M. DE MALTHUISIEULX «Tripolitania d'hier et de demain» 1912.

P. BERTOLINI «La Tripolitania Settentrionale» 1913.

Dr. D. CARUSO INGHILERI « I Primi Ordinamenti Civili della Libia» ɪ914.

AHMED BEY EL NAIB «ALMANHAL AL AZEB»
أحمد بك النائب «المنهل العذب»

P. COSTANZO BERGNA «Tripoli dal 1510 al 1850» 1925.

L. CHARLES FERRAUD. «Annales Tripolitania» 1927.

H. RAVIZZA «La Libia nel Suo Ordinamento Giuridico1931

F. Carò «Che Casa era la Libia dal Punto di vista civili ed economico Prima della occupazione Italiana» 1937.

محتويات الكتاب

صفحة